شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة وزارة الأوقاف الإسلامية بالكويت

مخطوطة

تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس

المؤلف

عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوا وقال سبحانه عنهم اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة
عذاب عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجم الزاني قال اللهم
اني اول من احيى امرك اذا ماتوه فكيف حال الذين عطلوا
الحدود بالكلية ثم زاد الشر الى ان قال آل الامر ببعض الولاة
انهم يضربون على البغايا الخراج وتعدوا حد الله في السارق
بالصلب والقتل صيانة لاموالهم ولم يعبأوا بانتهاك حرمات
مولاهم فانا لله وانا اليه راجعون وليجتهد المسلم في تحقيق
العلم والايمان وليتخذ الله هاديا ونصيرا وحكما وليا فانه
نعم المولى ونعم النصير وكفى بربك هاديا ونصيرا وينبغي
ان يكثر الدعا بما رواه مسلم وغيره عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يقول اللهم رب جبريل
وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء
الى صراط مستقيم ۞ آخره والحمد لله رب العالمين كما ينبغي لكرم
وجهه وعز جلاله وعظيم سلطانه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ۞

كتاب تأسيس التقديس

في الرد على داود بن جرجيس تأليف الشيخ
الامام عبد الله بن عبد الرحمن ابو بطين رحمه الله
وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ۞

بسم الله

لبسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ
بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم تسليما اما بعد فانه قدم علينا في اثني عشر سنين
سنة رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ومعه شيء من كتب
المذهب وجلس عندنا مدة وطلب مني اجازة في الفتيا
في المذهب وكتبت له وبعد ذلك بنحو اربع سنين قدم حاجا
وذكر لي ان معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي
الدين يشنع بها على الناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه
فاحضرته وبحثته فاذا حقيقة امره دعواه استحالة وقوع
الشرك في الامة المحمدية ويزعم ان دعا الاموات والغايبين والذبح
والنذر لغير الله والذبح لغير الله ليس بشرك ويقول ان الطلب
من الاموات والغايبين لا يسمى دعاء بل نداء ويقول الشرك
هو السجود لغير الله فقط وسالته عن معنى لا اله الا الله وما
معنى الآلهة فارتبك وتحير فقلت اخبرني عن حقيقة الشرك
الذي حرمه الله واخبر انه لا يغفره فقال هو السجود لغير الله
فقلت نهى الله عن السجود لغيره لكن ما دليلك على انه شرك
فلم يكن عنده جواب فلما اوردت بعض الادلة على بطلان
دعواه ودحضت حجته اظهر الموافقة قصدا لقطع الكلام
لا للموافقة باطنا لا ظاهرا فيما اظن وكتبت على ورقته التي
معه نحو ثلاثين ورقة سماها بعض الطلبة الانتصار وبعد
ذلك طلب مني بعض الاخوان بيان معنى بعض ابيات البردة
وتشطيرها للرجل المذكور فكتبت عليها قدر ورقتين

فاشمأز بعض المخالفين لم يخ في قلبه واعترض على ما كتبته
بكتب ورقة متضمنة شركا عظيما فكتبت على كلامه قدر ثلاثة
كراريس وهم قد رفعوا جوابي الاول والثاني الى كبيرهم داود
المذكور يستنصرون به فقام وقعد وجد واجتهد في البحث
عن الاوراق التي اعترض فيها اعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله فيما دعا اليه من التوحيد فحصل فيما بلغني جملة منها
فاستمد منها وزاد من عنده فضايح وضعها في تسويده هذا
الذي عثرنا عليه فيه تزويج على الجهال فرايت انه يتعين على
مثلي بيان تلبيسه وتمويهه لعل الله ان يحشرنا في زمرة الذين
ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين ذكر المعترض في اول تسويده
بانا نكفر من كانت البردة عنده ومن قرأها ومن سمعها
وانا نبيح قتله وهذا من اول كذبه وافترائه وزعم ان ما كتبناه
متضمن لتنقص الرسول صلى الله عليه وسلم وسلفه في ذلك عباد
المسيح لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادته قالوا تنقصنا المسيح
عليه السلام ونحن انما نهينا عن الغلو فيه صلى الله عليه وسلم
الذي حذر منه بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
وقوله ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله
وقوله لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد وقوله للذي قال ما
شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا ١٥ ما ما ذكره هذا من مدحه
نفسه وتزكيتها بدعوى العلم وذم المخالف وتجهيله فالعاقل
ما يغتر بذلك بل يقوم لله وينظر لنفسه وما حمل ما يؤديه
من الحجج ولا يقلد فان التقليد لا يجوز في هذا الاصل العظيم
قال الحجج وقد روى هذه القصيدة مع الهمزية جماعة
من العلماء وشرحها بعضهم ولم ينههوا منها محذورا فنقول

كما قال الائمة الاعلام كل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايضا لا يلزم ان كل من روى كتابا او قصيدة
يكون مستصوبا لكل ما روى وقد ذكر ممن روى البردة ابو
حيان والبيضاوي والمحلي وابن حجر العسقلاني وكذا القسطلاني
فيقال له تفسير الثلاثة للقرآن موجود وكذا شرح البخاري
هل تجد فيها ما يمكن تشبيهك به على الناس مما يوافق دعواكم
الباطلة من ان علم اللوح والقلم من علوم النبي صلى الله عليه وسلم
وانه لا يخفى عليه شيء من ادواء القلوب كما في بيت الهمزية من قوله
وليس يخفى عليك في القلب داء وان الدنيا والآخرة من جوده
صلى الله عليه وسلم وانه يطلب منه اليوم كما الانقاذ من عذاب
الله والالم وان ما جاز طلبه منه في حياته جاز طلبه منه بعد موته
وان الله سبحانه امر عباده المؤمنين بطلب حاجاتهم من الاموات
والغايبين وغير ذلك من دعاويكم الباطلة ولن تجد في كتب
المذكورين وغيرهم من العلماء المحققين الا ما يبطل حجتك بل
يوجد في كلام كثير ممن ليس من اهل العلم المعروف فيه بشيء
كثير تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان
قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه
قال المعترض وعصر الناظم متقدم على عصر ابن تيمية
ولم ينقل عن ابن تيمية انكار عليه قلنا ان كان نظمه هذا قد
بلغ الشيخ فهو ممن عنى بقوله والاستغاثة بالنبي به صلى الله
عليه وسلم بعد موته موجود في كلام بعض الناس مثل يحيى الصرصري
ومحمد بن النعمان وامثالهما قال وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا
من اهل العلم بل جروا على عادة كمن يستغيث بشيخه عند الشدايد
ويدعوه وقد يكون البوصيري وغيره مما اراد بقوله وامثالهما
وقد صنف شيخ الاسلام رحمه الله كتابا في الرد على من جوز

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرر ان ذلك من الشرك
قال رحمه الله وقد طاف هذا بجوابه يعني الذي اجاز فيه
الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم على علماء مصر ليوافقه احد
احد منهم فما وافقوه وطلب منهم ان يخالفوا الجواب الذي
كتبته فما خالفوه مع ان قولهم ما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع
قاموا في ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له غرض من ذوي
السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم
ومكايدة شيطانهم انتهى فهؤلاء علماء مصر في ذلك الزمان
لم يخالفوا ما كتبه الشيخ فعدم مخالفتهم دليل الموافقة لا سيما
وحال اكثر اهل ذلك الزمان مع الشيخ ومخالفتهم له في اشياء
غير ذلك معلومة فلو رأوا المخالفة في هذه المسئلة مساغا
لبادروا واظهروا ذلك قال البغدادي معترضا على ما
كتبناه على قول الناظم فان من جوز ذلك الدنيا وضرتها قال
ومن قال لك ان الدنيا والآخرة لغير الله فلا يجوز ان الله
يعطي الدنيا والآخرة لاحد وهو يجود بها ومنها اوليس كل الوجود
لله وقد ملكه لعباده فما هذا الاعتراض الفاسد قال
وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلقتا لاجله وورد في البخاري
انه اكرم من الريح المرسلة فماذا يضره لو كرم بمال ربه وهو
حبيبه الاعظم انتهى فنقول هل يشك احد في جوده صلى الله
عليه وسلم فهو اجود الناس واجود من الريح المرسلة صلوات
الله وسلامه عليه والمعترض حرف قول الصحابي وهو ابن عباس
في قوله فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود
بالخير من الريح المرسلة فحرفه المعترض وقال انه اكرم من
الريح المرسلة وقوله فلا يجوز ان يعطي الدنيا كلها لاحد
وهو يجود بها ومنها يعني انه يجوز ان يعطي الدنيا كلها لانسان

وذلك

وذلك الانسان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وهذا لا يليق به سبحانه
ان يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك الغير هو
مقصودهم الذي يرغبون اليه ويسألونه قضاء حوائجهم ومقتضى
قول الناظم فان من جودك الدنيا وضرتها انه صلى الله عليه وسلم
هو الذي جاد بهما لا ان الله اعطاه ذلك ليجود به على عباده
بل مقتضى كلامه وان لم يرده ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
جاد على اهل الدنيا باعطائهم ما يحبون ويجود على اهل الجنة
بها وقوله اوليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده فهذا
كلام باطل لان الوجود يتناول كل موجود من ذلك الجنة
والنار والسماء والارض والعرش والكرسي والحجب وغير ذلك
من العالم العلوي والسفلي مما لا يعلمه الا الله ولم يملكه لاحد
من عباده بل لم يملك عباده من الوجود الا النزر القليل قوله
وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلقتا لاجله صلى الله عليه وسلم فهذا
حديث لا يصح والله سبحانه قد اعلمنا بالحكمة في خلق هذه المخلوقات
كما في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال تعالى
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله
بكل شيء عليم فاخبر سبحانه بالحكمة في خلق هذه الاشياء وانه
انما خلقها للحكم التي ذكرها لا لاجل احد من عباده مع ان هذا
الحديث لو صح لم يكن فيه حجة ولا شبهة يستأنس بها لما ادعاه
مع انه صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق على ربه واقربهم اليه وسيلة

صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين لكنه نهى
عن الغلو فيه فقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقول المعارض فما ذا يضره
لو كرم بمال ربه مقتضى هذه العبارة انه يتصرف في خزائن
الرب سبحانه لان التصرف والتكرم بما في يده ليس مختصا به صلى الله
عليه وسلم لان كل احد يتصرف فيما اعطاه الله وملكه والنبي صلى الله
عليه وسلم انما يتصرف فيما في يده يضعه حيث امره ربه قال
صلى الله عليه وسلم اني لا اعطي احدا ولا امنع احدا وانما انا قاسم
اضع حيث امرت وقال في حكم الزكاة ان الله لم يرض فيها
بحكم نبي ولا غيره حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء وقول
الناظم ان من جودك الدنيا وضرتها اي من عطائك وانعامك
وافضالك الدنيا والآخرة وهذا كلام لا يحتمل تأويله بغير ذلك
وموازنة بين قول الناظم من جودك الدنيا وضرتها وبين
قول الله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك قال
ابن كثير قل لا اقول لكم عندي خزائن الله اي خزائن رزقه
فاعطيكم ما تريدون ولا اعلم الغيب فاخبركم بما غاب مما
مضى وما سيكون ولا اقول اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر
عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي وقال تعالى
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير
لقوم يؤمنون قال ابن كثير امر الله نبيه ان يخبر بتفويض
الامور اليه وان يخبر عن نفسه انه لا يعلم الغيب المستقبل
الا ما اطلعه الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه

قال

قال والاحسن في قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
ما رواه الضحاك عن ابن عباس لاستكثرت من الخير اي من المال وفي
رواية لعلمت اذا اشتريت رخيصا ما اربح فيه فلا ابيع شيئا الا ربحت
فيه ولا يصيبني الفقر وقال ابن جرير وقال آخرون معنى
ذلك ولو كنت اعلم الغيب لاعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة
ولو قت الغلاء من الرخص وقال ابن زيد وما مسني السوء
لاجتنبت ما يكون من الشر قبل ان يكون واتقيته وقال تعالى ليس
لك من الامر شئ قال المعترض على ما كتبنا على قول الناظم
ومن علومك علم اللوح والقلم فقال قد قال الشراح المراد باللوح
ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به قالوا ويحتمل ان يكون المراد
باللوح اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله
هذا الرجل لان مراده علم اللوح غير الفواتح الخمس قال على ان
قوله علم اللوح الاضافة فيه جنسية اي بعض علم في اللوح والجنس
يصدق على بعض الافراد الى ان قال فالمراد ولعلم نقل بهذا لا يلزم
هذا الاعتراض لان فواتح الخمس لا يلزم انها في اللوح المحفوظ
بل هي في ام الكتاب وهي غير اللوح الى ان قال فتبين من هذا ان ام
الكتاب غير اللوح المحفوظ بل هي اصل اللوح انتهى قوله ان الشراح
قالوا المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به فيقال
هذا بعيد من مراد الناظم ومن مقتضى لفظه لان ال في اللوح
والقلم للعهد الذهني لا يقع في ذهن السامع غير اللوح المحفوظ
والقلم الذي جرى بالمقادير وكونه بعيدا من مراد الناظم في هذه
الحال لانه بالغ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم واطرائه فلما وصفه
بكون الدنيا والآخرة من جوده فتعدى في وصفه بالجود ناسب
ان يصفه بسعة العلم ولو اراد اقلام الناس لم يخص الالواح بل
يأتي بلفظة تعم ما يكتبون فيه من لوح وغيره وايضا فالناس يكتبون
وقد طاسهم

باقلامهم الحق والباطل يكتبون الكفر والسحر والشعر وجميع العلوم
الباطلة مما ينزه الرسول عن اضافته اليه ويكتبون بعد موته
صلى الله عليه وسلم الرسايل والمداينات وغير ذلك مما يقع في غد
وذلك من الخمس التي لا يعلمها الا الله وقد قالت عايشة ام
المؤمنين رضي الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد
كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وقوله ويحتمل
ان المراد اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا اعتراض المعترض
لان المراد علم اللوح غير الغوايح الخمس الى قوله وهذه
الغوايح لا يلزم انها في اللوح المحفوظ بل هي في ام الكتاب وهي
غير اللوح الى قوله فتبين بهذا ان ام الكتاب غير اللوح بل
هي اصل اللوح لم يذكر ما يبين ذلك وانما هو مجرد دعوى
كاذبة وذكرها ذكره البغوي عن عكرمة عن ابن عباس قال
هما كتابان سوى ام الكتاب وهذا حجة عليه لانه ذكر كتابين
غير ام الكتاب بل كلامه يدل على ان اللوح الذي ذكر صفته
هو ام الكتاب لانه لما ذكره قرا وعنده ام الكتاب الظاهر
ان هذا اشارة الى ان هذا اللوح الذي وصفه هو ام الكتاب
لم يقل ان اللوح المحفوظ غير ام الكتاب وما ذكره عن عطاء
عن ابن عباس لم يقل فيه ان اللوح المحفوظ غير ام الكتاب
والمعترض يرى ان البغوي قد جزم عند قوله سبحانه وعنده
ام الكتاب بان ام الكتاب هي اللوح المحفوظ وقال البغوي
ايضا في قوله سبحانه بل هو قران مجيد في لوح محفوظ قال هو
الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب
محفوظ من الشيطان ومن الزيادة فيه والنقصان وقال ايضا
في قوله سبحانه وانه يعني القران في ام الكتاب في اللوح المحفوظ
قال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شيء اصله قوله

لدينا

لدينا اي القران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قران
مجيد في لوح محفوظ وقال البغوي ايضا في قوله سبحانه وكل
شئ احصيناه في امام مبين هو اللوح المحفوظ وقال الواحدي
وانه في ام الكتاب في اللوح المحفوظ قال الزجاج ام الكتاب
اصل الكتاب واصل الكتاب كل شئ امه قال والقران مثبت عند
الله في اللوح المحفوظ كما قال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
وقال الواحدي على قوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ عند الله
وهو ام الكتاب منه نسخ القران والكتب وهو الذي يعرف باللوح
المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقال ابن
كثير وانه اي القران في ام الكتاب اي اللوح قاله المحفوظ قاله
ابن عباس ومجاهد لعلي حكيم وقال في قوله سبحانه وكل شئ
احصيناه في امام مبين اي وجميع الكائنات مكتوب مسطور
في لوح محفوظ والامام المبين هنا ام الكتاب قاله مجاهد وقتادة
وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم انتهى وقال البيضاوي وعنده
ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كاينة الا وهو
مكتوب فيه وقال في قوله سبحانه وانه في ام الكتاب في اللوح المحفوظ
فانه اصل الكتب السماوية لدينا لعلي حكيم وقال النسفي ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لانه كل كاينة مكتوب فيه انتهى
والمراد بذكرنا كلام المفسرين وبيان اجماعهم على ان اللوح
المحفوظ هو ام الكتاب وهو نص حديث عمران بن حصين الآتي
قال وكتب في اللوح المحفوظ كل شئ تبين كذب هذا وجرأته
في جزمه بان ام الكتاب غير اللوح المحفوظ مع ان هذا لا ينفعه
لو سلم له لان الكل جرى مجرى العلم فيدخل في قول الناظم ومن
علومك علم اللوح والقلم وقوله ان الاضافة في قوله علم اللوح
والقلم جنسية اي بعض علم ما في اللوح والجنس يصدق على بعض

افراده فيقال علم بعض ما في اللوح لا يختص به صلى الله عليه وسلم بل
يشاركه في ذلك غيره من الانبياء وغيرهم من آحاد الناس من
كل من علم شيئا مما جرى به القلم مع انه لا يصح حمل كلام الناظم
على ذلك ولا يحتمله لانه قال ومن علومك علم اللوح والقلم
فمن في كلام الناظم للتبعيض فمقتضى اللفظ ان علوم اللوح
والقلم بعض علومك وزعم بعض المنازعين ان من في قول
الناظم من جودك ومن علومك الى آخره انها لبيان الجنس و
بينا غلطه في جوابنا السابق ولو سلم انها لبيان الجنس مع
انها لا تصلح لذلك فلا معنى على ذلك ان علومك هي عين علم
اللوح والقلم لا تقصر عنها لان هذا هو معنى من البيانية وكلام
الناظم خطأ على كل التقديرين وهما يبين ان مراد الناظم احاطة
النبي صلى الله عليه وسلم بعلم الغيب قوله في الهمزية في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وليس يخفى عليك في القلب داء فوصفه بالعلم
لجميع ادواء القلوب وعللها لان قوله داء نكرة في سياق النفي
فتعم جميع ما احتوت عليه القلوب وهذا مما اختص به الرب
سبحانه قال تعالى يعلم السر واخفى وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم فاحذروه وقال يعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور والآيات في هذا كثيرة معلومة وقد
قال سبحانه في آخر ما نزل من القرآن ومن حولكم من الاعراب
منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن
نعلمهم قال وآخرين منهم من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له
القاضي عياض في الشفا على هذا الحديث وتجري احكامه عليه
السلام على الظاهر ولو شاء الله لاطلعه على سرائر عباده

ومجبآ

ومخبآت ضمايرهم الى ان قال وكل ذلك من علم الغيب الذي استأثر
به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ١٠٤
فيعلمه منه بما شآء ويستأثر بما شآء ولا يقدح هذا في نبوته ولا
ينقص عروة من عصمته وخفي عليه صلى الله عليه وسلم حال اهل
الافك حتى جآءه الخبر من الله وخفي عليه صلى الله عليه وسلم امور
كثيرة يطول عدها حتى يأتيه الوحي بخبرها وقال صلى الله
عليه وسلم انه سيجآء برجال من امتي يوم القيمة فيؤخذ بهم ذات
الشمال فاقول امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك
ثم قال المعترض وهو اي الناظم اثبت للنبي علم اللوح والقلم
ومراده بتعليم الله له ثم قال بعد ذلك ما المانع ان يكون من
علوم النبي صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم فالعجب من تناقض
هذا المبطل ادعى اولا ان المراد باللوح والقلم الواح الناس
واقلامهم ثم ادعى ان الاضافة جنسية ثم اعترف ان الناظم
اثبت للنبي صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم ثم قال فما المانع
ان يكون من علوم النبي صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم قلت
وهذا الذي قررناه بناء على ان الله يطلع نبينا وغيره على الخمس
قال فهاك نقولا من اطلعنا على كلامه وذكر اشياء ليس فيها ما
يستانس له به فضلا عن ان يكون حجة وانما اكثر من النقول للتمويه
والترويج على الجهال ومنها ما هو حجة عليه كنقله عن شرح المشكاة
لعلي القاري على قوله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس اي لا يعلم
تفصيله الا هو ولا يعلم مجملة بحسب خرق العادة الا من قبله
وقال في شرحه قوله في خمس لا يعلمهن الا الله فان قلت قد
اخبر الانبياء بكثير من ذلك فكيف الحصر قلت الحصر باعتبار
كلياتها دون جزئياتها قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول انتهى وهذا حجة عليه لاننا لا ننكر

ان الله يطلع الانبياء على اشياء من الغيب معجزة لهم ويكشف لبعض
اتباعهم شيئا من ذلك كرامة لهم وانما ننكر القول بان محمدا صلى الله
عليه وسلم يعلم جميع ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ ومن ذلك
مفاتح الغيب الخمس وانه صلى الله عليه وسلم يعلم جميع ما احتوت عليه
القلوب بقوله وليس يخفى عليك في القلب دآء واستدل المعترض
بقوله سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وبقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء وليس في ذلك حجة له بل هي حجة عليه
ومعنى الآيتين عند جميع المفسرين ان الله سبحانه يطلع رسله
على ما يشاء من الغيب آية لهم ومعجزة ولنبينا صلى الله عليه وسلم
من ذلك ما لا يحصى ولا يشك فيه مسلم واحتج المعترض بما نقله
عن المدابغي فقال قال العلامة المدابغي في حاشيته على الاربعين
لابن حجر والحق كما قال جمع ان الله لم يقبض نبينا عليه الصلاة
والسلام حتى اطلعه على كل ما ابهم عنه الا انه امر كتم بعض
واعلام بعض انتهى قلت قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية عن
بعض ضلال اهل زمانه انه ادعى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا
دعوى عظيمة تعارض نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة
وتخالف ما عليه الصحابة والتابعون والعلماء بعدهم يحتاج مدعيها
الى دليل واضح ولن يجد الى ذلك سبيلا ولا شبهة معه وانما هي
مجرد دعوى كاذبة جمع مدعيها الى دليل واضح بين رد
نصوص الكتاب والسنة واجماع العلماء وبين افتراء الكذب على
الله ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب كذبا ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال المعوة وقد
اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى مصارع القتلى يوم بدر وكل
منهم صرع في ذلك المكان فقد علم ان هذه الانفس باي ارض

تموت

تموت وهي من الخمس واخبر باشياء تقع بعده الى يوم القيمة فوقعت
كما اخبر وهذا مما لا تدري نفس ماذا تكسب غدا فانظر اولا
الى هذه العبارات الركيكة وقوله واخبر عن اشياء تقع بعيده
الى يوم القيمة فوقعت مقتضى هذه العبارة ان جميع ما اخبر بوقوعه
بعده الى فنا الدنيا قد وقع وليس كذلك وانما وقع ما وقع منه
الى زمان هذا الرجل واخبر عن وقوع اشياء لم تقع بعد وهي واقعة
بلا شك والمراد ان هذا الرجل يأتي بعبارات فاسدة ويقال ثانيا
هل ينكر ذلك مسلم وهذا ونحوه مما اخبر به من الغيب الذي
استثناه في قوله الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على ما يشاء
من غيبه واستدل بقول المسيح عليه السلام وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم فنقول وهذا من معجزات المسيح وورد
ما روي عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يقول اي رب
مخلقة او غير مخلقة فان كانت مخلقة قال ذكر او انثى شقي ام سعيد
ما الاجل ما الاثر باي ارض تموت فيقال اذهب الى الكتاب فانك
ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فهذا يدل على ان الله يطلع بعض
خلقه على شيء من الخمس وهو الملك قال والنبي صلى الله عليه وسلم اولى
لانه منصوص عليه في قوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فقوله انه منصوص عليه الذي يظهر من كلامه انه
منصوص عليه بانه يعلم ما في الارحام وهذا كذب منه وانما
النص في انه سبحانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ومن ذلك اطلاعه
سبحانه رسوله على ما يشاء اطلاعه مما في الارحام ان كان قد وجد
من ذلك شيء لا انه يعلم جميع ما في الارحام وجميع ما اورده
المعترض في هذا المحل من خبر المسيح واثر ابن مسعود وامر قتلى
بدر وغير ذلك مما يعلم هو انه لا حجة له فيه وانا لا ننكره وانما
اراد التجهيم على الجهال وتكثير السواد في القرطاس وجاء في الحديث

عنه صلى الله عليه وسلم قال في الساعة لا يجليها لوقتها الا الله وكذلك
انزال الغيث لا يعلمه الا الله ولكن اذا امر به علمته الملائكة
الموكلون بذلك وما شاء من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الارحام
الا الله ما يريد ان يخلقه تعالى سواه لكن اذا امر بكونه ذكرا او انثى
او سعيدا او شقيا علمه الملائكة الموكلون بذلك وما شاء الله
من خلقه وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها
واخراها وما تدري نفس باي ارض تموت قال المعترض
وقد اخذ جمع من العلماء ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل
ما المسؤول عنها باعلم من السائل ان المعنى انا وانت في العلم بها
سواء فكما تعلمها انت اعلمها انا فالعجب من هذا التحريف لكلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي شابه فيه اليهود الذين يحرفون
الكلم عن مواضعه مع معارضته لنص الحديث نفسه حديث
جبريل من رواية ابي هريرة في الصحيحين لما سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل وساحدثك
عن اشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذلك من اشراطها واذا
رايت الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فذلك من
من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذلك من اشراطها
في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية وقوله في خمس لا
يعلمهن الا الله اي هي من الخمس المذكورات في الآية التي اختص
الله بعلمها ولا اظن هذا التاويل يصدر ممن عنده علم بان
نص الحديث يكذبه واحتجاج المعترض بما حكاه في تاويل هذا
الحديث وبما حكاه عن المدابغي صريح في انه يقول بذلك وهذا
كفر صريح لمعارضته نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة
واستشهد على دعواه بما نقله عن علي القاري في شرح المشكاة

انه

انه قال ما التوفيق بين قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وبين ما اشتهر
عند العرفا من الاخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير ابو عبد الله
في معتقده انه قال ونعتقد ان العبد ينتقل في الاحوال حتى
يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الارض ويمشي
على الماء ويغيب عن الابصار فالجواب ان للغيب مبادي و
لواحق فمبادية لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل واما
اللواحق فهو ما اظهره الله على بعض احبابه من لوحة علمه
وخرج ذلك عن الغيب المطلق فصار غيبا اضافيا وذلك اذا
تنورت الروح القدسية وازداد نورها واشراقها والمواظبة
على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور
وينبسط في فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرسمة في اللوح
المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف في اجسام العالم السفلي
انتهى مراده بالنقوش المرسمة في اللوح المحفوظ الكتابة التي
جرى بها القلم في اللوح المحفوظ اورد المعترض هذا الكلام
بعد قوله وهذا الذي قررناه بناء على ان الله سبحانه يطلع نبينا
وغيره من المقربين على الخمس فاحتج بقول هذا الضال على دعواه
الباطلة من ان الله يطلع نبينا وغيره من المقربين على الخمس
فمن ادعى انه اذا راض نفسه يرى ما كتب في اللوح المحفوظ ويعلم
الغيب فهو كافر فاذا ضم الى ذلك دعوى انه يحصل له من القدرة
ما يتصرف به في العالم السفلي ازداد كفرا ثم قال المعترض
ويحتمل ان هذه الخمس لم تكتب في اللوح المحفوظ وانها في غامض علم الله
ومما استأثر الله به وقد قال قبل ذلك وهذه الفواتح لا يلزم
انها في اللوح المحفوظ بل هي في ام الكتاب وهي غير اللوح المحفوظ
وهنا قال انها في غامض علم الله وكذب نفسه بذكره بعد ذلك
الا ترا لمروي ان الملك الموكل بالرحم يقول اي رب مخلقة او غير مخلقة

الى ان قال فيقال اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه
النطفة فانظر الى تناقض هذا تارة يقول ان الناظم اراد بقوله
اللوح والقلم الواح الناس واقلامهم وتارة يعترف بان الناظم
اراد اللوح والقلم الذي جرى بالمقادير ولكن هذه الخمس لم
تكتب فيه وتارة يقول هي في غامض علم الله وتارة يقول
هي في ام الكتاب وهي غير اللوح المحفوظ ويجزم بذلك وتارة
يقول في اثناء كلامه وهذا بناء على ان الله يطلع نبينا وغيره
على الخمس ويحتج على ذلك بما نقله عن المدابغي والشيخ الضال الذي والقاري
يدعي ان الانسان قد يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم الغيب وتصرف
في العالم السفلي وقوله انها في غامض علم الله يعني الخمس وانها
لم تكتب في اللوح المحفوظ يكذب هذا القول نصوص الكتاب والسنة
قال الله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك
في كتاب ان ذلك على الله يسير قال ابن كثير في الآية يخبر تعالى عن
كمال علمه بخلقه فلا يعزب عنه مثقال ذرة وانه سبحانه يعلم الكائنات
كلها قبل وجودها وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كما في صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
كتب مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة وكان عرشه على الماء وفي السنن من حديث جماعة من
الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله القلم
قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كاين فجرى القلم بما هو
كاين الى يوم القيمة وروى ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال قال
ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة مائة عام وقال للقلم
قبل ان يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب قال وما
اكتب قال علمي في خلقي الى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كاين
في علم الله تعالى الى يوم القيمة فذلك قوله الم تعلم ان الله يعلم ما في

السماء

السماء والارض انّ ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وجميع المفسرين
على ان المراد بالكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ وان كل شيء من
الكائنات مكتوب فيه وقال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير
وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا قال
اقبلوا البشرى يا اهل اليمن قالوا قد قبلنا فاخبرنا عن اول هذا
الامر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب
في اللوح المحفوظ كل شيء ثم خلق السموات والارض فهذا الحديث
شاهد للمفسرين في تفسيرهم الكتاب في الآية باللوح المحفوظ
وان كل شيء مكتوب فيه وانه ام الكتاب والمراد ببيان كذب هذا
وبيان تناقضه وهو لا يشعر بذلك بل يخبط هو خابط خبط
عشوى وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا
يعلم احد ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا
يعلم متى يأتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت
ولا يدري متى تقوم الساعة احد الا الله وتقدم حديث ابي
هريرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله
افيظن مسلم ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدثون
الامة بهذه الاحاديث المصرحة بتفرد الله سبحانه بعلم هذه
الامور المذكورة في هذه الاحاديث المذكورة وان عندهم
ما يخالف ذلك فيكتمونه فيحصل التلبيس على الناس في هذا الباب
فيلزم من ذلك اعتقاد الباطل حقا والحق باطلا والصواب خطأ
والخطأ صوابا صانهم الله عن ذلك ام يظن مسلم انه خفي على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ما ادعاه هؤلاء الضلال وعلموه

هم هذا من اجهل الباطل ويزيد ذلك وضوحا ما ثبت في
الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت من زعم ان محمدا يخبر
بما في غد فقد اعظم الفرية على الله ثم قرأت ان الله وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا هذا لفظ مسلم و لفظ البخاري من حدثكم
ان محمدا يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا ومرادها رضي الله عنها نفي ذلك عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حياته وروى الامام احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال اوتي نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس ثم قرا ان الله عنده
علم الساعة الآية وفيما ذكرنا من الكتاب والسنة واقوال الصحابة
كفاية في بطلان دعاوي هذا البغدادي ومن نقل عنه كالمدايني
والقاري وغيرهما لتحريف قوله صلى الله عليه وسلم ما المسؤل عنها
باعلم من السائل واورد المعترض حديث المنام وقوله
صلى الله عليه وسلم رايت ربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم
الملا الاعلى الى ان قال فتجلى لي كل شيء وعرفت وفي رواية فعلمت
ما في السماء والارض وفي رواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب
وليس في ذلك ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم علم ما جرى به القلم في
اللوح المحفوظ ولا انه علم مفاتيح الغيب قال غير واحد ممن شرح
الحديث يجلو ذلك على ان الله سبحانه كشف له عن الاعيان الموجودة
اذ ذاك وهذا هو الظاهر وهو صريح رواية فعلمت ما في السماء
والارض ورواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب وما موصولة
اي فعلمت الذي بين المشرق والمغرب اي الموجود بينهما يوضح
ذلك لو قلت دخلت دار فلان فعلمت ما فيها انما يتناول علمك
الموجود فيها من الاشياء حين دخولك لا ما يوجد منها بعد ذلك
والله اعلم ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قول الله سبحانه
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض انه فرجت له السموا

فنظر

فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون
السبع فنظر الى ما فيهن قال فيحتمل هذا انه كشف له عن بصره حتى
راى ذلك عيانا ويحتمل ان يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده
وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة
كما روى الامام احمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث
المنام اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ
الاعلى فذكر الحديث ثم تلا وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السماوات
والارض وليكون من الموقنين انتهى وذكر المعترض حديث
حذيفة انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا عن كل ما يقع الى
يوم القيمة حتى دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار حتى انا
لنرى الطاير يقلب جناحيه فتذكرت منه علما هكذا اورده البغدادي
جعل ذلك كله من قول حذيفة واخطأ وحرف اللفظ والمعنى فاول
هذه الجملة من كلام حذيفة وآخرها من قول ابي ذر لكنه غير
الكلام فافسد اللفظ والمعنى فتميز قول حذيفة من قول ابي ذر
ليتبين للناظر له تخبيط هذا الجاهل ففي صحيح البخاري عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك
شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه عرفه قال
حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك رسول الله
من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ معه ثلاث مائة فصاعدا الا
سماه لنا باسم ابيه وقبيلته هذا لفظ حذيفة وقال ابو ذر لقد
تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طاير يقلب جناحيه في السماء
الا ذكرنا منه علما انتهى فانظر الى تخبيط هذا وتحريفه الفاحش يقول
ابو ذر وما طاير يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما يعني الا

ذكرنا منه النبي علما وهذا يقول انا لنرى الطاير يقلب جناحيه فتذكر
منه علما اي نتذكر نحن من الطير علما فغير كلام الصحابي وابدله
بكلام لا معنى له وقول ابي ذر وحذيفة يدل على انه صلى الله
عليه وسلم اخبرهم بامور جزئيات من الغيب تحدث بعده
اطلعه الله عليها وهل في ذلك ما يدل على انه اخبرهم بوقت
الساعة او انه اخبرهم باي ارحام نسائهم ذوايهم او انه
اخبر كل واحد باي ارض يموت او بما يحدث له من الذرية
ومتى يموت هذا مما يعلم قطعا انه لم يكن منه شيء وكذلك
حديث المنام ليس فيه ما يستانس به لهذا المبطل وما ذكرنا
من قول عايشة وابن مسعود كاف في بطلان دعوى من
قال ان الله لم يقبض نبيه حتى اطلعه على جميع ما كتم عنه
وكذلك ما حدث به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه
مثل قوله مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وقوله عن الساعة
في خمس لا يعلمهن الا الله يخبر الصحابة التابعين بذلك و
التابعون يخبرون من بعدهم واهل الحديث يروون هذه
الاحاديث ويثبتونها في كتبهم ولا يذكرون ما يخالفها مما
هو الحق في زعم هؤلاء الملحدين حتى يجيء هؤلاء المفترون
على الله الكذب وعلى رسوله فيبينون للناس ما خفي على
الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين هذا مما يقطع
ببطلانه كل عاقل وابلغ من ذلك اخبار الله سبحانه بتفرده
بعلم الغيب ونفيه عن غيره حتى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
والمفسرون من الصحابة ومن بعدهم يقررون ما دلت عليه
الآيات ولم يذكر احد منهم خلاف ما قلناه وهذا ظاهر ولله
الحمد لكن لاجل ترويج الكذبة على الجهال يحتاج الى ايضاح
ذلك واعترض على ما كتبناه على قول الناظم يا اكرم الخلق

في كتابه

مالي

مالي من الوذ به سواك الى قوله مع قول المشطر ان لم تكن في معادي
آخذا بيدي ، وقول المشطر ومنقذي من عذاب الله والالم او
شافعا الى آخره ان هذا الانقاذ بالفعل وانه غير الشفاعة
وان لم يحصل بالفعل فبالشفاعة وليس كما زعم لان الانقاذ
والاخذ باليد هو ايضا بالشفاعة لان غير الشفاعة يكون
استقلالا من دون الله ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم
ولو كان بدويا جاهلا والمراد تنوع الشفاعة فالنوع الاول
هو الاخذ باليد والانقاذ وقد ورد في الاحاديث الصحيحة
في الشفاعة فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج
من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فانطلق فافعل فاقول يا
رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من في قلبه ادنى ادنى مثقال
حبة من خردل من ايمان فانطلق فاخرجهم من النار الى ان قال
فما المانع من اطلاق هذا اللفظ وهل لهذا الاخراج الا الانقاذ
من العذاب الوجه الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم في المعاد وهو
يوم القيمة كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق فلا مانع ذلك اليوم
من ان يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لانه حي حاضر
قال وعند هذا الرجل واشياعه ان الحي الحاضر له قدرة
بنفسه قال ابن عبد الوهاب في كشف الشبهات في جواب
الحديث الصحيح ان الناس يوم القيمة يستغيثون بآدم ثم بنوح
ثم بابرهيم ثم بموسى ثم بعيسى حتى ينتهوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين فيقول انا لها انا لها قال فاجاب عن هذا بان
الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كما قال تعالى فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما يستغيث الانسان
باصحابه في الحرب وغيره في اشياء يقدر عليها المخلوق انتهى قال
فاذا كان الحي الحاضر عندهم لا يستطيعون له الفعل لانه يقدر

ومنقذي من عذاب الله والالم او شافعا الى آخره ما قد جنيت غير
فضلا والافضل بالفضل قال هذا الاعتراض ناظر الى
ما في معادي آخذا بيدي حيث قال الناظم ان لم تكن

حي ص

عليه وصاحب البردة يخبر انه ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
في معادي وهو يوم القيمة آخذا بيدي فضلا والافضل يازلة
القدم والنبي وجميع الخلايق ذلك اليوم احيا حاضرون لهم
قدرة فيما يقدرون عليه من الامور العادية الحسية ونسبة
الافعال الى فاعلها واسبابها جايزة شرعا وعرفا فكيف
يمكن انقاذ النبي امته من العذاب ويجعله ممتنعا وانه خلاف
الشفاعة مع ان النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه
ذلك اليوم ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا
كما كان يرمي العدو وهم الوف بكف من تراب فيعميهم ويروي
الالوف العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام وفي
الحديث انكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وانا آخذ
بحجزكم لئلا تقعوا فيها واعظم من هذا ان الله نسب اخراج
الكفار من الظلمات الى النور الى الظلمات الى الطاغوت وهي
الاصنام مع انها لا قدرة لها بوجه لكن لما كانت سببا للاخراج
نسب الاخراج اليها وكذلك هنا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم
سببا للانقاذ من العذاب نسب الانقاذ اليه وفي دعاء الاستسقاء
اللهم اغثنا غيثا مغيثا قالوا معناه منقذا من الشدة مع ان
الغيث جماد لا قدرة له لكن لما كان سببا للانقاذ والاغاثة
نسب الانقاذ اليه وقد اشتهر عند العلما انبت الربيع البقل
ومنع البقا تقلب الشمس مع ان المنبت هو الله في الحقيقة والمانع
للبقا هو الله وقال فوكزه موسى فقضى عليه مع ان القضا
من الله وقال في حق نبيه ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم مع ان الواضع هو الله لكن لما كان سببا للفعل
نسب الفعل اليه بل جميع الافعال تنسب الى فاعلها فيقال
فلان اعطى وفلان منع وفلان نفعني وفلان ضرني ويلزم

ان

على قول

على قول هذا لا تنسب الافعال الى فاعلها ولا قايل به قال وورد
نسبة الانقاذ من النار الى المعاني من الاعمال وقد ورد في حديث
صحيح قال رايت رجلا من امتي يعذب في قبره فجاءه صلاته فانقذته
من العذاب والآخر الذي انقذه حجه والآخر صيامه فاذا جاز
نسبة الانقاذ من النار الى المعاني لكونها اسبابا فنسبتها الى الذوات
من باب الاولى خصوصا اشرف الذوات من المخلوقين انتهى
جوابه ان يقال اولا وازنه بين قولنا اكرم الخلق مالي من
العذاب سواك وبين الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم اجعلتني
لله ندا حيث قال ما شاء الله وشئت فهذا لو قال مالي من العذ
به الا الله وانت لكان اقبح من قول القايل ما شاء الله وشئت
لان الله اثبت للعبد مشيئة بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا فكيف اذا افرد الرسول بالملياذ والالتجا
من عذاب ذلك اليوم الذي لا تكلم فيه نفس الا باذنه وقد ذكرت
في الجواب السابق الفرق بين قول هذا وتشطيره ومنقذي
من عذاب الله والالم وبين قوله او شافعا لي لان المعترض
الاول ادعى بجهله ان عطف الشفاعة على الانقاذ عطف
تفسير ومعنى الكلمتين واحد وبينا بطلان قوله هذا وان
قوله او شافعا لي لا يصلح كونه عطف تفسير لانهم ذكروا ان
عطف التفسير انما يكون بالواو خاصة ومن ذكر ذلك ابن
هشام وابو البقاء وغيرهما نص في ان المعطوف غير المعطوف
عليه مع ان العامي فضلا عن العالم يفرق بين اللفظين فلو
قصد انسان انسانا وقال قصدتك لحاجة كذا فاما ان
تقضيها او تشفع لي عند فلان في قضائها فكل احد يعرف الفرق
بين العبارتين كما فرق القرآن بينهما في قول صاحب يس اتخذ
من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم

شيئا ولا ينقذون فالانقاذ هو بالنصرة والمظاهرة والشفاعة
بالجاه والمكانة قال ابن القيم رح بعد كلام سبق على الآية
العابد يريد من معبوده ان ينفعه وقت حاجته دائما واذا
اراد بي الرحمن الذي خلقني بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة
ما تنقذني بها من ذلك الضر ولا من الجاه والمكانة ما تشفع لي
اليه لاتخلص من ذلك فلاي شيء تستحق العبادة اني اذا لفي
ضلال مبين ان عبدت من هذا شأنه انتهى وقال البيضاوي
اء تخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا اي لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة
اني اذا لفي ضلال فان اتخاذ من لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما
على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال
مبين لا يخفى على عاقل انتهى وقوله ان الانقاذ والاخذ باليد
هو ايضا بالشفاعة لان غير الشافع يكون مستقلا لا من
دون الله ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم قلت ولا يتصور
ذلك من احد من مشركي العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله
عليه وسلم فانهم كلهم معترفون بانهم بان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق
ولا تدبر شيئا من دون الله ونصوص القرآن كثيرة بذلك كما
قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فسيقولون الله
فقل افلا تتقون اي افلا تتقون الشرك بافراد الالوهية اذا
اقررتم بالربوبية وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون الآيات وقال تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
فقد اعترفوا ايضا بصفة العز والعلم لله والآيات في هذا كثيرة
معلومة عند الجميع يحتج سبحانه عليهم باقرارهم بتوحيد الربوبية

ومن يدبر الامر

على اشراكهم في توحيد الالوهية كما قال سبحانه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات والارض والجبال قالوا الله وهم يعبدون غيره وهذا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء ايمانهم اخلاصهم الدعاء لله في الشدايد وينسونه في الرخاء كما قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية والآية تعم ذلك كله فهذه نصوص القرآن صريحة في ان المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافا جازما غير مترددين ولا متوقفين بل يقرون بجملة من صفات الرب سبحانه ينكرها كثير من المسلمين المنحرفين كما قرارهم بصفة العزة والعلم ويقرون ايضا بعلوه فوق سمواته كما في حديث حصين بن المنذر لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم كم الها تعبد قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء وكما في شعر امية بن ابي الصلت وغيره واخبر الله عنهم انهم ما ارادوا من آلهتهم الا الشفاعة عند الله في امور دنياهم وكذا من يعترف منهم بالآخرة فاذا طلبوا من آلهتهم حاجة من حوايجهم من رزق او نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا ان آلهتهم تحدث شيئا من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك لم يقل هذا احد منهم وانما كانوا يقولون اننا اذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجيه عند الله حصل مطلوبنا لوجاهته عند الله وهذا يخلصون الدعاء لله في الشدايد وينسون الوسايط كما قال سبحانه وتنسون ما تشركون اذا تبين هذا فاذا خوطب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من الاموات والغايبين بلفظ من الفاظ الاستغاثة او طلب منه حاجة بقول اغثني او انقذني من كذا او خذ بيدي او اقض حاجتي او انت حسبي او

او اشكوا اليك حاجتي ونحو ذلك يتخذه واسطة بينه وبين الله تعالى
في ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول المستغيث خذ بيدي او انقذني ممن ابلغ الفاظ الاستغاثة
فلو اعتقد الداعي ان من دعاه وطلبه يقضي حاجته استقلالا
من دون الله كان هذا شركا في توحيد الربوبية والالوهية قال
شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى ومن رحمة الله ان الدعا
المتضمن شركا كدعاء غير الله ان يفعل او دعائه ان يدعو نحو
ذلك لا يحصل غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة
الا في الامور الحقيرة واما الامور العظيمة كانزال الغيث عند
القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك قال
الله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله
تدعون ان كنتم صادقين الايه وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر
ضل من تدعون الا اياه وقال امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اله مع الله وقال تعالى ام
اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب
فيها الا هو سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من اشرك به
قال رحمه الله وجماع الامر ان الشرك نوعان شرك في ربوبيته
بان يجعل لغيره معه تدبيرا كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير فبين انهم لا يملكون مثقال
ذرة استقلالا ولا يشركون في شيء من ذلك ولا يعينونه على
ملكه بل لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته
وشرك في الالوهية بان يدعى غيره دعاء عبادة او دعاء مسئلة
كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فكما ان اثبات المخلوقات

سببا لا يقدح في توحيد الربوبية ولا يمنع ان يكون الله خالق كل شيء
ولا يوجب ان يدعى المخلوق دعاء عبادة او دعاء استعانة كذلك
اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك او غيره اسبابا لا يقدح
في توحيد الالهية ولا يمنع ان يكون الله هو الذي يستحق الدين
الخالص ولا يوجب ان تستعمل الكلمات والافعال التي فيها شرك
اذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه ويكون مضرته ذلك على
العبد اكثر من منفعته اذ قد جعل الخير كله في ان لا نعبد الا اياه
ولا نستعين الا به قال وعامة آيات القرآن تثبت هذا الاصل
حتى انه سبحانه قطع اثر الشفاعة بدون اذنه كقوله سبحانه من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال تعالى وذكر به ان
تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وقال تعالى
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع
بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وسورة الانعام سورة عظيمة
مشتملة على اصول الايمان وكذلك قوله ثم استوى على العرش ما
لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ام اتخذوا
من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا وسورة الزمر اصل عظيم في هذا
قال والقرآن عامته انما هو في تقرير هذا الاصل العظيم الذي
هو اصل الاصول انتهى وما احتج به هذا الملحد من قول النبي
صلى الله عليه وسلم امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من في قلبه
كذا وكذا من ايمان وقوله فما المانع من اطلاق هذا اللفظ يعني
لفظ الانقاذ وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم وهل هذا الاخراج

الا الانقاذ من العذاب فالعجب من هذا التمويه فهل فعل هذا صلى الله
عليه وسلم بنفسه او بامر الله له بذلك فالله سبحانه هو الذي اكرمه
بهذه الشفاعة فهو صلى الله عليه وسلم عبد مامور لا يشفع الا باذن
ربه فيمن اذن الله له ان يشفع فيه فقط لا يتجاسر ان يشفع في غير
من اذن له فيه ربه ثم انظر قول هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم حي
كحاله في الدنيا هو وجميع الخلايق فلا مانع ذلك اليوم من ان يتسبب
ويخرج وينقذ من الشدة لانه حي حاضر والنبي وجميع الخلايق
ذلك اليوم احياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الامور
العادية الحسية قال وعند هذا الرجل واشياعه ان الحي الحاضر
له قدرة بنفسه فكيف ينكر انقاذ النبي امته من العذاب ويجعله
ممتنعا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر
عليه ذلك اليوم ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا كما كان
يرمي العدو وهم الوف بكف من تراب فيعميهم ويروي الالوف
العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام فلينظر المنصف
الى تقرير هذا المبطل وجعله النبي صلى الله عليه وسلم بل وغيره يتصرفون
في ذلك اليوم كتصرفهم في الدنيا وانه صلى الله عليه وسلم يخرج وينقذ
من الشدة ويقرر ذلك هذا التقرير وانه يقدر على ذلك اي
الانقاذ وتعجب ممن ينكر ذلك فقال وكيف ينكر انقاذ النبي امته
من العذاب ويحتج علينا بانا اذا قلنا ان للحي الحاضر قدرة في الدنيا
على التصرف بالفعل بنفسه يقول فيلزمكم ان تثبتوا ذلك في الآخرة
لا فرق ثم قال ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا وقوله
والنبي وجميع الخلق ذلك اليوم لهم قدرة فيما يقدرون عليه من
الامور العادية الحسية والمراد بهذه الامور العادية الاشياء
التي يفعلها الحي في العادة والحسية الافعال الحسية المشهودة
بالعيان مثل اعطاء بعضهم بعضا ومعاونة بعضهم لبعض

وكذا

وكذا جناية بعضهم على بعض والعجب من هذا الضال سعيه في هذه
الامور بين الدنيا والآخرة ولم يجعل لاخباره سبحانه بتفرده بالملك
والامر في ذلك اليوم فايدة ولا معنى واي محادة لله ورسوله
اكبر من هذا وهذه نصوص الكتاب والسنة نذكر بعضها
فيعرض المنصف كلام هذا الرجل عليها قال الله تعالى مالك يوم
الدين قال ابن كثير انما اضيف الملك الى يوم الدين لانه لا يدعي
احد هناك شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال يوم
يأت لا تكلم نفس الا باذنه وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا
تسمع الا همسا وقال الضحاك عن ابن عباس مالك يوم الدين
يقول لا يملك احد في ذلك حكما كملكهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم
الحساب للخلايق وهو يدينهم باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر
الا من عفا عنه قال وكذلك قال غير واحد من الصحابة والتابعين
والسلف وهو ظاهر وقال البغوي مالك يوم الدين انما خص
يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها لان الاملاك يومئذ
زايلة فلا ملك ولا امر الا لله قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن
وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال والامر يومئذ لله
انتهى وقال تعالى والى الله ترجع الامور وقال واليه يرجع الامر
كله وهذا معنى قوله والامر يومئذ لله وقال تعالى قوله الحق
وله الملك يوم ينفخ في الصور وقال الملك يومئذ لله يحكم بينهم
وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا قال البيضاوي في هذه الآية يوم لا تجزي
نفس عن نفس شيئا قال او ارادة شيئا منكرا مع النفسين للتعميم
والاقناط الكلي انتهى وما ذكره البيضاوي من ان النكرة في
سياق النفي تعم مجمع عليه عند البيانيين والاصوليين وعليه

تنكير

جميع المفسرين والفقهاء وقال تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقال يوم لا يغني مولى
عن مولى شيئا وقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا فنكر النفسين
وشيئا وهذا مما بلغ صيغ العموم في النفي كما قال البيضاوي
فيعم جميع الانفس وكل ما يقع عليه اسم شيء ثم اكد ذلك بقوله
والامر يومئذ لله وقال ابن كثير وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك يوم الدين تهويل لشأن ذلك اليوم ولهذا قال يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا ينفع احدا احدا ولا يدفع احد
عن احد شيئا ولهذا قال والامر يومئذ لله كقوله الملك يومئذ
الحق للرحمن وقوله لمن الملك اليوم وقال تعالى مالك يوم الدين
قال قتادة والامر يومئذ لله قال والامر والله لله اليوم ولكن
لا ينازعه يومئذ احد ولا يصنع احد شيئا الا رب العالمين وقال
الزمخشري وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يعني
ان امر يوم الدين عظيم بحيث لا يدرك كنهه في الهول والشدة
وكيف ما تصورت فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير
لزيادة التهويل ثم اجمل القول عن وصفه فقال يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه
ولا امر الا لله وحده وفي تفسير الجلالين يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا اي لا تستطيع من المنفعة والامر يومئذ لله لا امر لغيره
معه اي لم يكن احد من التوسط فيه بخلاف الدنيا وقول
المعترض ان البغوي قال في قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
ان هذا في النفس الكافرة وكذب في نسبة ذلك الى البغوي فان
البغوي حكى ذلك عن مقاتل فيحتمل ان مقاتلا خص بعض ما
تناولته الآية لمعنى قام والظاهر ان مراده ان غير الكافر يشفع
فيه الشافعون ويرى ان من اذن له في الشفاعة يملك ما اذن له

كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا وقوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا
من شهد بالحق وهم يعلمون بناء على الاستثناء في الآيتين متصل
وان من اذن له في الشفاعة يصدق عليه انه ملك الشفاعة فيمن
اذن له فيه فقط والشفاعة المأذون فيها هي من الامر الذي
اختص به سبحانه في قوله والامر يومئذ لله والالف واللام في الامر
تفيد العموم عند الجميع كقوله واليه يرجع الامر كله والى الله ترجع
الامور فهو سبحانه الآمر والآذن فله الامر كله وله الملك كله قل
لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض يوم يات لا تكلم نفس
الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا والعموم في قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
كالعموم في نظايرها من الآيات اللاتي قدمنا ذكرها كقوله تعالى
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقوله لا يجزي والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وما رايتا احدا من
المفسرين قال في هذه الآيات بالخصوص بل قرروا عمومها على
مقتضاه ولم ينقل احد في شيء منها انه مختص بالكفار سوى ما ذكره
البغوي عن مقاتل في قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وليس هو
بصواب وهو مخالف لما عليه المفسرون واهل العربية والاصوليون
والفقهاء في قولهم بعموم النكرة في سياق النفي فمن نظر في كتب الجميع
وجد ذلك صريحا قال في شرح مختصر التحرير ومن صيغ العموم
نكرة في نفي صرح به اهل العربية وكذلك قال العراقي في شرح
جمع الجوامع ان النكرة في سياق النفي تعم ولم يذكر خلافا وهذا
يفهمه كل احد من مثل قوله تعالى ولا يظلمون نقيرا ولا يظلمون فتيلا
لا تخفى منكم خافية ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
فلا يخاف ظلما ولا هضما فمن سمع هذه الآيات ونحوها لم يشك

في عمومها كيف وفي قوله سبحانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا زيادة
تاكيد للنفي لانه تحرير نكر النفسين وشيئا فهو كما قال البيضاوي
في قوله تعالى يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا حيث قال واريد
شيئا منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي ولا ريب
ان الشفاعة الحاصلة باذنه سبحانه ليست داخلة تحت النفي
حتى يقال ان هذا مخصوص بالكافرة وانما المنفي نفع احد احدا
بشفاعة او غيرها بدون اذنه سبحانه كما قال قتادة وليس احد
يصنع يومئذ شيئا الا رب العالمين ومما يوضح خطا من خص
الآية بالكافرة ما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال لما
نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من
الله شيئا الى ان قال يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لا اغني عنك من الله شيئا وفي رواية الترمذي لحديث ابي هريرة
يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا
ولا نفعا الى ان قال يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار
فاني لا املك لك ضرا ولا نفعا ان لك رحما وسابلها ببلالها وفي
صحيح مسلم من طريق اخرى عن ابي هريرة قال لما نزلت وانذر
عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم
وخص فقال يا معشر قريش انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذوا
انقذي نفسك من النار فاني والله لا املك لكم من الله شيئا الا ان
لكم رحما سابلها ببلالها وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها
قالت لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني
يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما
شئتم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم امره ثم قال لا الفين

احدكم

احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك منه الله شيئا قد بلغتك لا الفين احدكم
يجئ يوم القيمة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك منه الله شيئا قد بلغتك الحديث فاخبر
الصادق المصدوق انه لا يملك لابنته سيدة نساء الامة وعمته
وعمته والمهاجرين والانصار منه الله شيئا ولا يغني عنهم من
الله شيئا فهذه الاحاديث ونحوها شاهدة للعموم في قوله
سبحانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا مع ان الآية صريحة في ذلك
فهذه الاحاديث تزيد الواضح وضوحا ولله الحمد مع ان قول
مقاتل ليس فيه حجة لهذا المبطل لاننا نقطع ان مقاتلا لم يرد
ان احدا يفعل ذلك اليوم شيئا من دون الله او ان احدا يشفع
عنده بغير اذنه وانما اراد نفي الشفاعة في الكافر وليتامل
المنصف ما ذكرنا من الآيات والاحاديث المصرحة بتفرد الله
سبحانه بالملك والامر في ذلك اليوم وانه لا يقدر على ذلك احد
ولا متصرف هناك سواه ويعرض قول هذا الملحد المشرك
بين الله ورسوله وبين رسوله بل وغير الرسول في التصرف
والامر في ذلك اليوم العظيم ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم
يقدر على انقاذ امته من ذلك العذاب في ذلك اليوم وانه يقدر
على ما كان يقدر عليه في الدنيا وانه يتصرف في ذلك اليوم هو
وغيره كما كانوا في الدنيا فيعرض كلام هذا على ما ذكرنا من
كلام الله وكلام رسوله يتبين الهدى لمن اراد الله هداه قال
المعترض وصاحب البردة يخبر انه ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
في معادي آخذا بيدي والا فقل يا زلة القدم فيقال له قول
صاحب البردة وقولك ليس اخبارا بل هو استغاثة بل من
ابلغ الفاظ الاستغاثة كقول الابوين ربنا ظلمنا انفسنا

وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقول نوح
والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقول بني اسرائيل
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين اترى ان
الابوين وجميع المذكورين يخبرونا الله باننا ان لم يغفر لهم
ويرحمهم فهم خاسرون وان هذا منهم مجرد اخبار بل كل احد
يعرف ان هؤلاء الذين اخبر الله عنهم بهذا الكلام يسالون
الله ويرغبون اليه في ان يغفر لهم ويرحمهم ومعترفون بانه
ان لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون وهذا الجاهل لا يفرق
بين نوعي الكلام من الانشاء والخبر فالكلام عند علماء البيان
نوعان خبر وانشاء فالخبر ما احتمل الصدق والكذب اي
ما احتمل ان يكون قائله صادقا ويحتمل ان يكون كاذبا كقولك
جاء زيد وقدم عمرو فهذا قول يحتمل ان يكون صدقا وان
يكون كذبا فهذا تعريف الخبر وما يسمى انشاء واما قول
صاحب البردة وقول المتنبي يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به
سواك الى قولهما ان لم تكن في معادي اخذا بيدي ونقذني من
عذاب الله والا لم والا فقل يا زلة القدم اي وان لم تاخذ بيدي
وتنقذني من عذاب الله فقل يا زلة القدم اي فانا خاسر او
هالك فهو كقول الابوين وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وقول نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وقول بني اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
الخاسرين نعم اورد المعترض شيئا يستدل بها لقوله وتنقذني
من عذاب الله والا لم وليس فيها ما يستانس له به فضلا عن
ان يكون حجة وانما اراد الاكثار من الكلام ايهاما للطغام وقد
قدمنا جملة من شبهه حقيقتها نسبة المسبب الى سببه منها
قوله فوكزه موسى فقضى عليه قال مع ان القضاء الخ صدر من الله

يعني ان القضاء في هذا الموضع هو فعل الرب سبحانه الذي بمعنى التقدير
كما يقال قضى الله كذا اي قدر كذا وقد اخطأ في معنى هذه الكلمة وانما
المراد بالقضاء في قوله فقضى عليه القتل الذي هو فعل موسى لا فعل
الرب يقول فوكزه موسى فقضى عليه اي قتله هذا هو المراد عند
جميع المفسرين تقول العرب قضى فلان على فلان اذا قتله ويقال
قضى فلان اي مات وقوله صلى الله عليه وسلم وانا آخذ بحجزكم عن
النار المراد تحذيرهم عن الاعمال التي توجب غضب الرب وتورد
النار وقوله ان الله نسب اخراج الكفار منا النور الى الظلمات
الى الطاغوت وهي الاصنام فاخطأ في قوله ان المراد بالطاغوت
هنا الاصنام واكثر المفسرين يقولون المراد بالطاغوت هنا الشياطين
وقيل المراد كعب بن الاشرف واشباهه من علماء اليهود ولم نر من
فسر الطاغوت هنا بالاصنام ولهذا قال يخرجونهم فاتى بضمير
العقلاء فلنرد هنا تتبع خطأه وتخبيطه في نحو ذلك لطال الكلام
وذكر قول الشاعر منع تقلب الشمس وقولهم انبت الربيع البقل
ومن استدل بنحو ذلك على جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم
وغيره من الاموات والغايبين بطلب الحاجات منهم ثم طلب الانقاذ
من عذاب يوم القيمة وشدايده فقد اتى بما ينكره العاقل السليم
الفطرة ولكن الهوى يعمي ويصم ونحن لا ننكر اضافة الاشياء الى
اسبابها ولكن الله سبحانه هو خالق الاسباب ومسبباتها ولا
يلزم من ذلك ان نعتمد على الاسباب فضلا عن ان نسألها ونرغب اليها وهي مخلوقة بل يتعين على العباد ان يعتمدوا على
خالق الاسباب ويرغبوا اليه ويستعينوا به ويعبدوه وحده
اياك نعبد واياك نستعين وقال شيخ الاسلام تقي الدين في اثناء
كلام له ان اثبات المخلوقات اسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية
ولا يمنع ان يكون الله خالق كل شيء ولا يوجب ان يدعى المخلوق

البقاعي

دعا عبادة او دعا استعانة انتهى وقد تقدم وهذا المبطل يقول اذا
كان الله قد جعل نبيه صلى الله عليه وسلم سببا للانقاذ من النار فكم
من اراد الله هدايته جاز ان يطلب الانقاذ منه من النار فطرد
هذا الاصل الباطل ان يجوز ذلك في جميع الاسباب وقد قال تعالى
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيلزمه ان يجوز للناس ان
يطلبوا من الريح ان تثير لهم سحابا ماطرا وقال تعالى في حق نبيه كتاب
انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور والمراد بالظلمات
ظلمات الجهل والكفر والشك الى نور العلم والايمان فيجوز على اصل
هذا ان يقال يا رسول الله اخرجنا من الظلمات الى النور وهذا
حقيقة هداية الصراط المستقيم فيقال يا رسول الله اهدنا
الصراط المستقيم وهذا لازم هذا المبطل على اصله الباطل لا يحيد
له عنه ولا استبعد التزامه ذلك لجهله وعناده وقد قال تعالى
انك لا تهدي من احببت فقوله وقد ورد نسبة الانقاذ الى
المعاني من الاعمال الى آخر كلامه هذا مما احتج به لقوله ومنقذي
من عذاب الله والالم فانظر هذا القياس الفاسد وجعله هذا الباب
من باب اولى وقياسه هذا اقبح من قياس الذين قالوا انما البيع
مثل الربا لانه ساوى بينهما الامر بينا فكيف وهو يقول هذا من باب
اولى فكذب على الله وعلى رسوله في زعمه ان ذوات المخلوقين تنقذ
من عذاب الله كما تنقذ الاعمال الصالحة بل هي اولى في زعمه ومراده
طلب الانقاذ من المخلوقين لانه اراد بذلك الاحتجاج لطلبه الانقاذ
من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومنقذي من عذاب الله والالم ولقوله
ان الله امر بطلب الحاجات من الاموات والغايبين وهذا من
الكذب على الله وشرع دينا لم يأذن به الله حيث زعم ان الله يحب
من عباده ان يطلبوا من غيره ان ينقذهم من عذابه وان يحب
من المؤمنين طلب الحاجات من الاموات والغايبين ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى انما حرم ربي الفواحش

ما ظهر

ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل
به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون والله سبحانه جعل دخول
الجنة والنجاة من النار معلقا على الاعمال الصالحة لا على الالتجا
الى المخلوقين والاستغاثة بهم والتوسل بذواتهم قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الآيتين
فعلق سبحانه النجاة من عذابه ومغفرة ذنوبهم ودخولهم الجنة
والنصر على الاعداء على الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وقال
تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري
من تحتها الانهار الآية وقال تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر الى آخر السورة وكما جعل اتباع رسوله سببا
لمحبته ومغفرة الذنوب والفلاح في الدنيا والآخرة قال سبحانه قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى
فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اولئك هم المفلحون وهذا المفتري على الله الكذب يزعم
ان التقرب الى الله بذوات المخلوقين اولى من التقرب اليه بالاعمال
الصالحة وباتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيا سبحان الله كيف
يروج تمويه هذا على من يسمع هذه الآيات ونحوها مما لا يحصى
من آي القرآن وعلى من يسمع قول الله سبحانه مالك يوم الدين يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يوم يأت لا تكلم نفس
الا باذنه ونحو هذه الآيات مع قول النبي صلى الله عليه وسلم لابنته
وعمه وعمته والمهاجرين والانصار لا اغني عنكم من الله شيئا
وقد قال سبحانه لا املك لكم من الله شيئا ويؤكد ذلك بحلفه
لابنته وعمته انه لا يغني عنهم من الله شيئا وقد قال الله سبحانه

لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن
يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي لا اجد منه التجي
اليه واعتمد عليه وصاحب البردة يقول فان لي ذمة منه بتسميتي
محمدا يعني انا في ذمته وجواره لموافقة اسمي اسمه وهذا يقتضي
ان كل من سمي محمدا فهو في ذمته صلى الله عليه وسلم وقوله في الطمزية
الامان الامان اي اسالك الامان فاكده تاكيدا لفظيا فهو يطلب
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤمنه ويجيره من عذاب الله وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه
وفضل وكان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ومن دعائه صلى الله عليه وسلم
رب قني عذابك يوم تبعث عبادك او تجمع عبادك وفي دعاء
الخروج الى الصلاة اسالك ان تنقذني من النار وان تغفر
لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فالنبي صلى الله عليه وسلم
يسال الله ان يقيه عذابه وعذاب النار ويسأله ان ينقذه من النار
وهذا يطلب الانقاذ من النبي صلى الله عليه وسلم فاعظم من ضلال
وفي بعض ادعيته صلى الله عليه وسلم اسالك الفوز بالجنة والنجاة
وقال للذي قال لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ اني اسال الله
الجنة واعوذ بالله به من النار حولها ندندن ومن دعائه صلى الله
عليه وسلم لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك اعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك فالتجي الى الله منه
واستعاذ به منه وصاحب البردة والمشطر التجيا الى الرسول
من عذاب الله وعاذا به منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي
قال اللهم اني اتوب اليك لا الى محمد عرف الحق لاهله ونزعم
هذا المخبط ان الشفاعة نوعان احدهما الاخذ باليد والانقاذ
والثاني بمعنى قولي او شافعا باستغفاره فالاولى شفاعة

فعلية

فعلية بان يخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه والثانية شفاعة قولية
بان يحال بين الذنب وبينه المواخذة به انتهى فانظر الى هذا التقسيم
الباطل وهل يعقل الناس شفاعة الا بالكلام من الشافع كما في حديث
الشفاعة الطويل حتى استاذن على ربي فاذا رايته وقعت له او خرت
ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد
لي حدا فادخلهم الجنة وذكر الثانية كذلك والثالثة والرابعة وكذلك
شفاعته صلى الله عليه وسلم في اخراج ناس من النار يقال له انطلق فاخرج
من في قلبه كذا من ايمان والعجب من ترويج هذا المبطل وهل يسمى الفعل
المجرد عن القول شفاعة عند عالم او جاهل انما الشفاعة بالكلام
وقبولها بالفعل من الشافع فيما اذن له فيه فادخاله صلى الله عليه وسلم
الجنة من امر الله بادخاله واخراجه من النار من امره هذا حقيقة
قبول شفاعته لان ذلك شفاعة اخرى وهل يوجد في حديث انه
صلى الله عليه وسلم ادخل احدا الجنة او اخرج احدا من النار بغير امر الله
تعالى وهذا امر واضح ما يحتاج الى توضيح لكن ربما يحصل بكلامه تشبيه
على الجاهل فلنرد هنا نتبع في كلامه من الركاكة والتناقض والعيب
لا احتمل مجلدا من ذلك قوله على قوله في القصيدة او شافعا لي مما قد
جنيت فمراده اخباره عن نوع آخر من الشفاعة وهو كونه شافعا
لي باستغفاره او بدعائه لا بفعله فيشفع لي شفاعة ثانية مما جنيت
من الذنوب فلا يواخذني بها فلا اراه يرى العذاب بالكلية او يزيد في
درجاتي ثم قال بعد ذلك وقولي ثانيا او شافعا لي مما قد جنيت
غدا فهي شفاعة اخرى غير شفاعة الانقاذ بالاستغفار للذنب
قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنات وقال ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا
الله توابا رحيما فالاولى شفاعة فعلية بان ينقذه من العذاب

وللاحاديث صح

بعد وقوعه فيه والثانية شفاعة قولية بان يحال بين المذنب وبين
المواخذة قال وهذا ظاهر انتهى أقول بل كله كلام باطل متناقض
من ذلك كونه جعل قوله تح خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم ومنقذي
من عذاب الله والالم او شافعا اخبارا فهذا باطل بل استغاثة به
صلى الله عليه وسلم لاخبر وقد قدمنا عند قوله فيما تقدم وصاحب
البردة يخبب انداه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيده والاقل
يازلة القدم ايضاح ذلك ولكنا لو سلم انه خبر مع استحالة كونه
خبرا فهو اخبار منه للنبي صلى الله عليه وسلم لان الخطاب معه فهو يخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بانه يشفع له شفاعتين قولية وفعلية فهو
يخبب النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمه لانه لو كان يعلم ذلك لم يحتج
الى اخباره له بذلك وحقيقة كلامه اذا جعله خبرا انه يقول
انت يا رسول الله تشفع لي شفاعتين فعلية وقولية فهل يوجد
كلام اسمج من هذا الكلام مع تضمنه الكذب على الله وعلى رسوله
وتزكيته نفسه بحصول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فهو والحالة
هذه شاهد لنفسه بانه من اهل الجنة وجعله الشفاعة الاولى
بان ينقذه النبي صلى الله عليه وسلم من العذاب بعد وقوعه فيه والشفاعة
الثانية استغفار النبي له ما اعجب هذا هل تح الآخرة توبة واستغفار
وانما الواقع من الانبياء وغيرهم الشفاعة ولم يأت اهل الموقف
الى الانبياء يقولون استغفروا لنا بل يقولون اشفعوا لنا ايضا
اذا حصلت لهذا الشفاعة الفعلية بزعمه وهي الانقاذ من العذاب
فقد سلم من المواخذة بذنبه فلا يحتاج ان يشفع له ثانيا بان لا
يواخذ بذنبه ومن له ادنى نظر تبين له فساد كلامه وتناقضه
تح اكثر المواضع من تسويده هذا والله الهادي الى سواء السبيل
وذكر المعترض اني استدللت بقول الله سبحانه وتعالى انك
تنقذ من النار ولا ذكر ذلك ولا وجدته تح المسودة عندي

ولا شك ان معنى الآية ان من كتب الله شقيا لا تنقذه مما هو فيه
من الضلالة لان من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
هذا مع اني اقول الاستدلال بعموم الآية على ما نحن فيه سايغ
وما زال العلماء يستدلون بآيات نزلت في امور خاصة على ما
يتناوله اللفظ بعمومه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
لاسيما والمستدل عليه بهذه ثابت حكمه بنصوص آيات واحاديث
كقوله تعالى مالك يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله وكقوله صلى الله عليه وسلم لسيدة نساء الامة ولقرابته
انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله شيئا وقوله للمهاجرين
والانصار لا املك لكم من الله شيئا ومعنى لا املك لكم من الله لا املك
لكم من الله شيئا لا املك لكم ضرا ولا نفعا كما في رواية الترمذي للحديث
قال البغدادي وهذا الرجل ينكر نسبة الانقاذ من النار للفعل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر الاحاديث التي فيها نسبة
الانقاذ من النار الى قريش ولا يدري انها اراده عليه من عاب
الذي يدعيه اذ يقال كيف نفى الله الانقاذ عن نبيه ويثبته لاقاربه
من قريش بقوله انقذوا انفسكم من النار فانه نسب الانقاذ من
النار لهم فان قلت اراد انكم تسببون في انقاذ انفسكم بالاسلام
قلنا وكذلك اطلاق كلامنا ككلامه فان مرادنا بقولنا وينقذني
من عذاب الله والالم اي متسببا في انقاذي او ينقذني بفعله انتهى
فانظر الى هذا الكلام الباطل والقياس الفاسد يقول كيف ينفي
الانقاذ عن نبيه ويثبته لاقاربه من قريش واطلاق كلامنا
ككلامه فالعجب من هذا التلبيس الذي لا يخفى على العامي البسيط
الفطرة قلنا آمنا في الاتفاق في الحروف فنعم واما في المعنى فبينهما
الكلامين من التباين ما لا نهاية له ويقال له ايضا كذبت في قولك
كلامنا ككلامه فهو صلى الله عليه وسلم يقول انقذوا انفسكم من النار

بطاعة الله ورسوله فهذا السبب الذي امرهم به صلى الله عليه وسلم في
من النار ص دار العمل وانت تطلب الانقاذ من النبي صلى الله عليه وسلم في دار
الجزا فسببك الذي تعتمد عليه الشرك وهو الاستغاثة به صلى الله
عليه وسلم لينقذك من عذاب الله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله والسبب الذي امر به صلى الله عليه وسلم التوحيد ولزوم
طاعة الله ورسوله فالسبب الذي امر به صلى الله عليه وسلم يوصل
الى رضى الله والجنة والسبب الذي تدلي به يبعد عن الله غاية الابعاد
وهل قال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته وعمه وعمته والمهاجرين
والانصار انا انقذكم من عذاب الله او تسببوا في انقاذكم فلا تخافوا
فلو كان له صلى الله عليه وسلم شيئ من هذا الامر ذلك اليوم لكان هؤلاء
احق من غيرهم وقوله كيف ينفي الانقاذ عن نبيه وبيقبته لقريش
قلنا لم ننف نحن الانقاذ عنه صلى الله عليه وسلم بل هو الذي نفاه
عن نفسه بقوله لا املك لكم من الله شيئا لا اغني عنكم من الله شيئا
فالانقاذ الذي امرهم به غير الانقاذ الذي نفاه عن نفسه قال
المعترض واما استدلاله بقوله سبحانه عن صاحب يس ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان هذه الاصنام
التي اتخذها الكفار آلهة واربابا من دون الله قال فهل يستدل
من له ادنى تمييز على عدم شفاعة النبي وانقاذه لامته بمثل هذا
الدليل الباطل الذي ساوى فيه الاصنام بسيد الانام بعد ما اخبر
الله عنه بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وظاهر كلام
هذا الرجل انكار الشفاعة بالكلية لقوله وهذا نقض فان من
اراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع قال ومعلوم ان من استوجب
العذاب من المسلمين او دخل فيه وشفع فيه الانبيا والملائكة
والمؤمنون لا شك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين
فكيف يجوز لمسلم انكار الشفاعة وهو يدعي انه من اهل السنة

والجماعة

والجماعة ويستدل عليها بآية الاصنام المتخذة ارباباً انتهى قوله
ان هذه الآية اعني آية يس في الاصنام خاصة فهو كاذب ضال
في قوله هذا بل الآية عامة في كل ما عبد من دون الله لان من اراده
الله بضر لم يغن عنه معبوده شيئاً سواء كان معبوده ملكاً او
نبياً او غيرهما فلا يكشف عنه ضراً اراده الله به ولا يجلب له نفعاً
واتى سبحانه في الآية بضمير العقلا بالواو والميم فهي عامة في كل
معبود من دون الله سواء كان عاقلاً او جماداً يوضح ذلك قوله
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلاً الآية قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هم الملائكة
والمسيح وامه وعزير وقال ابن مسعود نزلت في اناس يعبدون
ناساً من الجن فاخبر سبحانه ان هؤلاء لا يملكون كشف الضر عن
عبدهم ولا تحويلاً من موضع الى موضع وقال تعالى وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وهذا المعترض يقول هذه الآية آية يس
فيمن عبد الاصنام ومقتضى كلامه ان من عبد غير الاصنام ان
معبوده ينفعه بشفاعة وغيرها ومن المعلوم من السنة المتواترة
واجماع اهل السنة بل الامة ان من مات مشركاً لا شفيع له واخبر
سيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه ان من مات شفاعته لمن
مات لا يشرك بالله شيئاً فمن عبد غير الله من ملك او نبي او صالح
او صنم او غير ذلك فانه لا يشفع فيه شافع ولا ينفع عنه دافع
قال الله تعالى وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال تعالى
فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال تعالى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانظر الى انكار هذا
المعترض قولنا ان من اراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع
كما هو نص الآية بقوله ظاهر كلام هذا الرجل انكار الشفاعة

بالكلية لقوله وهذا نص في ان من اراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع
فيا عجبا من جرأته هذا وهل قلت من عند نفسي ان من اراده الله
بضر فلا شفيع له ولا منقذ وهذا قول الله سبحانه لا قول غيره وزعم
ان استدلالنا بالآية انكار منا للشفاعة وهو يعلم اننا لا ننكر الشفاعة
الواقعة باذن الله تعالى وانما ننكر الشفاعة الشركية التي يثبتها هو
واشباهه قوله وهل يستدل من له ادنى عقل على عدم شفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم وانقاذه لامته بمثل هذا الدليل الباطل
فوصف الخبيث كلام الله بالبطلان مما يبين جهل هذا وفجوره
فلو قال الاستدلال الباطل لكان اخف اثما لان وصف الدليل
بالبطلان كفر صريح لان القرآن هو الدليل تالله الامام احمد الدال
الله والدليل القرآن والمستدل اولوا العلم والمبين الرسول
هذه قواعد الاسلام والمقصود بذكر كلام الامام احمد بيان
ان الذي يوصف بالدليل هو القرآن فقول هذا المعترض مثل
هذا الدليل الباطل وصف للقرآن بالبطلان وانظر قوله ومعلوم
ان من استوجب العذاب او دخل فيه وشفع فيه الملائكة والانبياء
وغيرهم لا شك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين
فصريح كلامه تكذيب لصاحب ليس الذي صدقه الله فيه ويشهد
له من نصوص القرآن ما لا يحصى الا بكلفة في قوله ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فيقال لهذا المتحرص
انما تكون الشفاعة لمن اراد الله رحمته وان كان قد عذب به قبل
ذلك فاذا اراد الله سبحانه رحمة انسان قد استوجب العذاب او
قد دخل في النار اخرجه منها برحمته واذن لمن يشاء من عباده
ان يشفع فيه كما في بعض احاديث الشفاعة ان الله سبحانه اذا
اراد رحمة من شاء ممن في النار اذن في الشفاعة فيه واما من اراد
الله ضره في الآخرة او في الدنيا فلا منقذ له ولا شفيع قال الله تعالى

وان

وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على
كل شيء قدير وقوله لا شك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين
فنقول لا شك في بطلان هذا الكلام بل هو كفر لان حقيقة كلامه هذا
ان شفاعة الشافعين منعت من نفوذ ارادة الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا قال المعترض واما استدلاله بقوله سبحانه ليس لك
من الامر شيء فهذه نازلة في اناس مخصوصين من
الكفار آذوا النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم بالهلاك وكان علم
الله فيهم من يؤمن فقال ليس لك من الامر شيء فهذه الآية في اناس
مخصوصين ونحن كلامنا في نفع النبي صلى الله عليه وسلم امته بالشفاعة
فقد اخبره الله بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وانزل له جبريل
يقول الله انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك ولم يقل هنا ليس لك
من الامر شيء انتهى يزعم المعترض ان قوله سبحانه ليس لك من الامر
شيء في اناس مخصوصين ونحن كلامنا في نفع النبي امته بالشفاعة
وقد اخبره بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولم يقل هنا ليس
لك من الامر شيء فيقال وهل في قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء
ولسوف يعطيك ربك فترضى معارضة لقوله ليس لك من الامر
شيء فالامر كله له وحده وعد نبيه انه سيرضيه وقوله ان
الآية في اناس مخصوصين مراده ان حكمها لا يتعداهم ليس مراده
انهم سبب النزول فهو يقول ان غير هؤلاء المخصوصين للنبي من
امرهم شيء فيكون شريكا لله في غير هؤلاء المخصوصين ولهذا
احتج بقوله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ولم يقل
هنا ليس لك من الامر شيء لانه عارض هذه الآية بتلك الآية
وضرب كلام الله ورسوله بعضه ببعض مع انه ليس بين الآيتين
ما يوهم التعارض فالذي له الامر كله وعد نبيه ان يعطيه فيرضيه
وانما مراده في ايراد الآية التلبيس والايهام للجهال والله سبحا

لم يقل ليس لك من امرهؤلاء المخصوصين شيء وانما قال ليس لك من الامر
شيء والالف واللام تفيد العموم عند الاصوليين وقال الله تعالى لله
الامر من قبل ومن بعد وقال تعالى ان الامر كله لله وقال بل لله الامر
جميعا قال ابن كثير على قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء بعد الكلام
على اول الآية قال ثم اعترض بجملة دالة على ان الحكم في الدنيا و
الآخرة لله وحده لا شريك له فقال ليس لك من الامر شيء بل الامر
كله لي كما قال تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ليس
عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء قال محمد بن اسحاق ليس
لك من الامر شيء اي ليس لك شيء من الحكم في عبادي الا ما امرتك به
فيهم انتهى وقال تعالى الا له الخلق والامر اورد ابن جرير عند
تفسير هذه الآية حديثا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من
زعم ان الله جعل للعباد شيئا من الامر فقد كفر بما انزل الله على انبيائه
لقوله الا له الخلق والامر فلله سبحانه الامر كله والملك كله واليه يرجع
الامر كله فالامر كله لله سبحانه في الدنيا والآخرة وانما خص يوم
القيمة في نحو قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله
لتفرده سبحانه في ذلك اليوم بالتصرف والحكم والتدبير فليس لاحد
معه في ذلك اليوم تصرف ولا تدبير ولا امر ولا تدبير ولا امر ولا
نهي بخلاف ذلك الحال في الدنيا فان الله ملك اهلها ما خولهم فيها
فهم يتصرفون فيما اعطاهم بحسب اختيارهم مع كون الملك والامر
في الحقيقة لله وحده في الدنيا والآخرة وقد قال الله سبحانه لنبيه
لما قال في شأن عمه ابي طالب لاستغفرن لك ما لم انه عنك ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من
بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وقال في شأن المنافقين استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
وقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره قال

المعترض

المعترض واما استدلاله بقوله لقرابته وبضعته لا اغني عنكم من الله
شيئا معناه اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله لا اغني عنكم من الله شيئا بدليل
قوله انقذوا انفسكم من النار يعني بالاسلام قال وفي بعض روايات
الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا وقال يا بني كعب
انقذوا انفسكم من النار الى ان قال فاني لا املك لكم من الله شيئا
بدليل الدنيا جلب منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله
الا الله انتهى هذه الجملة من قوله لا املك لكم من الدنيا منفعة
ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله كل هذه الجملة
التي عزاها للصحيحين كذب وافتراء منه ليس في الصحيحين منها
حرف واحد ما اجرى هذا على الكذب على الله ورسوله وعلى
العلماء ثم المعارضة لكلام الله وكلام رسوله في مواضع من اوراقه
هذه ثم العجب ممن تلقى ذلك كله بالقبول ولم يغط الشيء من فضائحه
فيا اسفى من غلبة الجهل واستيلاء الهوى وعمى التقليد على اكثر الناس
فانا لله وانا اليه راجعون ثم يقول الا ان تقولوا لا اله الا الله وهو
يقول لابنته وعمته وعمه والمهاجرين والانصار لا اغني عنكم من
الله شيئا لا املك لكم من الله شيئا ليس هؤلاء هم اهل لا اله الا الله
الذين هم احق بها واهلها قال الله تعالى في حقهم والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها وقد قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ربي من النفع لي
ودفع الضر عني فكيف اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ومن المعلوم
يقينا ان من اراد الله به سوءا من اهل التوحيد ان النبي وغيره
لا يملكون دفعه عنه كحال اهل الكبائر من اهل لا اله الا الله الذين
يعذبون في النار حتى تدركهم رحمة ارحم الراحمين فيأذن في الشفاعة
فيهم لمن اراد اكرامه بها فانظر الى قول هذا المفتري ان قوله
صلى الله عليه وسلم لابنته وقرابته لا اغني عنكم من الله شيئا اذا لم

تؤمنوا بالله ورسوله ما اجرى هذا على الافتراء على الرسول وما اقل
حياءه من ارتكاب ما فيه فضيحته اوليست ابنته صلى الله عليه وسلم
سيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء المؤمنين ثبت ذلك في الصحيحين
اوليس المهاجرون والانصار الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا
املك لكم من الله شيئا سادات الامة الذين رضي الله عنهم ورضوا
عنه وهذا يقول المعنى لا املك لكم من الله شيئا اذا لم تؤمنوا بالله
ورسوله وايضا فقوله اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله استدراك
منه على الرسول صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم يقول لا املك
لكم من الله شيئا فاطلق ولم يقيد بشرط الايمان بالله ورسوله فجاء هذا
الشرط الذي زاده هذا بقوله اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله انه يملك
لهم من الله شيئا اذا آمنوا بالله ورسوله وهذا منه رد على النبي صلى الله
عليه وسلم النبي يقول لا املك لكم من الله شيئا وسادات المؤمنين وهذا
يقول بل يملك من الله شيئا لمن آمن به ثم قال المعترض وكيف لا
يغني عنه بضعته وقرابته شيئا وقد انزل الله عليه في حقهم انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال
وكيف لا يغني عنهم شيئا وهو لما نزلت عليه هذه الآية جمعهم تحت
جللهم بكسائه وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا هل هذا الا غنا وفائدة بل هو يغني كل من آمن
به انتهى فانظر قوله كيف لا يغني عنه بضعته وقرابته شيئا فهذا
منه استفهام انكاري فهو ينكر على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا اغني
عنكم من الله شيئا ويكرر الخبيث هذه الكلمة مرتين النبي صلى الله
عليه وسلم يقول لا اغني عنكم من الله شيئا وهذا يقول وكيف لا يغني
عنهم من الله شيئا فهل يستريب من له ادنى نظر ان كلامه هذا رد
على الرسول وانكار عليه بل العامي البليد يفهم هذا ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور وهل في قوله سبحانه انما يريد الله ليذهب

عنكم

عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا و في دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم
معارضة لقوله لا اغني عنكم من الله شيئا و لقوله سبحانه يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله و انما مقصود هذا بتكثير الادلة
التي لا شبهة له فيها الترويج على الجهال و كثرة التسويد في القرطاس
مثل كلامه في الشفاعة و ذكر بعض ما ورد فيها مع علمه انا
لا ننكر ما ورد في الشفاعة من الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم
و انظر قوله فهل هذا الا غناء و فائدة لهم فنقول كل خير
دنيوي و اخروي حصل لامته عامة و لاهل بيته خاصة من ربهم
فعلى يديه صلوات الله و سلامه عليه و هل في هذا معارضة لقوله
لا اغني عنكم من الله شيئا و لقول الله سبحانه قل اني لا املك لكم ضرا و لا
رشدا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله قال المعترض
بقي ان يقال قوله يا اكرم الخلق الى آخره فان هذا عندهم دعاء و هو
النداء و لا وجه للتكفير به لان النداء اذا كان ضارا و هو دعاء كما يزعمون
لزم ان لا ينادى احد لا حي و لا ميت لان كون الشيء الواحد بالنسبة للحي لا يكون
يكون طاعة و للميت و الغايب يكون عبادة لم يعهد هذا شرعا
و لا عرفا و انما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا
و الها و هذا لا يقصده اجهل المسلمين فضلا عن اكابر العلماء
و الدليل على ان النداء و الطلب من الاموات و الغايبين ليس بعبادة
بل هو مأمور به شرعا آيات و احاديث و آثار و اقوال العلماء الكبار
من الايمة الاربعة الاخيار هذا لفظه قوله فان هذا عندهم دعاء
و هو النداء يقول هم يسمونه دعاء و ليس كما يزعمون و انما هو نداء
لا دعاء يقول لو كان دعاء كما يزعمون لزم ان لا ينادى احد لا حي
و لا ميت و هذا الرجل حيرني و اجهني ادعى ذلك فقال الطلب من
الاموات و الغايبين لا يسمى دعاء بل هو نداء و بينت له بعض
الادلة و اذ عندي ظاهر في هذه المسئلة و غيرها و ظننت ان

مراده قطع الكلام لا المعاقبة فيقال لهذا تفريق بين الدعا
تفريق باطل مخالف للكتاب والسنة واجماع الامة مع مخالفته
اللغة فقد سمى الله سبحانه سؤال عباده له دعاء و نداء قال تعالى
عن نوح فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وقال ونوحا اذ نادى
من قبل فاستجبنا له فنجيناه من الكرب العظيم فسماه في موضع
دعاء وفي موضع نداء وقال عن زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
وقال في موضع هناك دعا زكريا ربه وقال عن ايوب وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقال وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فنادى في الظلمات الا اله وقال صلى الله عليه وسلم
دعوة اخي ذي النون ما دعا بها مسلم الا استجيب له وقال
بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه فانزل الله واذا سألك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان وقد سمى الله تعالى طلب المخلوق
من المخلوق واستعانة به واستغاثة ونداء قال سبحانه فاستغاثه دعاء
الذي من شيعته على الذي من عدوه وقال الصحابة قوموا بنا
نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق وقال
الله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم فهذا نص في دعاء المسئلة
وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين قوله فادعوهم اي اطلبوا منهم
وقال تعالى وان تدعوهم الى الهدى الآية فاراد بالدعا هنا الطلب
الذي هو ضد الصمت وقال قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
تنظرون اي استعينوا بشركائكم وقال وقيل ادعوا شركاءكم
اي استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ليخلصوكم مما انتم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ويقول نادوا شركائي الذين زعمتم
يوم

فقال

فقال في موضع ادعوا وفي موضع نادوا وقوله قد عوهم صريح في الطلب
منهم وقال وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بهم وقال
وادعوا من استطعتم من دون الله اي استعينوا بهم فسمى سبحانه
استعانتهم بهم دعاء بل قد سمى تعبيق الراعي بالبهايم دعاء ونداء
وان لم يسمعا فقال مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء وبمجموع ما قدمناه صريح في ان سؤال العبد ربه يسمى دعاء
ونداء وان استعانة المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء
وقد قال النحويون النداء هو الدعاء بحرف مخصوصة وان المنادى
منصوب لفظا او محلا بفعل محذوف فقولك يا زيد اي ادعو زيدا
ومن اقسام المنادى وهو كل من نودي ليخلص من شدة او يعين
على دفع مشقة كقول عمر رضي الله عنه يا لله للمسلمين اي ادعوكم
للمسلمين فاتضح بطلان قول هذا في ان طلب المخلوق من المخلوق لا
يسمى دعاء بل نداء فهو يقول ان الطلب من الملائكة والمسيح وامه وعزير
والجن نداء لا دعاء فما ادري ما يقول فيمن طلب من العزى ومنات
واللات فان قال ان الطلب من الملائكة منها لا يسمى دعاء بل هو نداء
والنداء لا يضر عنده فتضح عند العامة والخاصة وان قال انه يسمى
دعاء قيل له نقضت اصلك حيث جعلت الطلب من هذه الاوثان
دعاء ومن غيرها نداء فهذا واحد جعلته بالنسبة الى الاموات والغائبين
والمسيح وامه وعزير والجن نداء وبالنسبة الى العزى وغيرها من
الاوثان دعاء مع انه يلزمه ان لا يسميه دعاء اذا لم يسم مدعوه ربا
والهاً لقوله ان الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها
اذا تبين بطلان قول هذا فالدعاء ايضا يكون ايضا اعم من النداء
لانه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين وقول بني اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن
وقول السائل اشكو الى الله حاجتي وذنوبي واسأل الله كذا

المستغاث به

واعوذ به من كذا وكل هذا يسمى دعاء وسمى النبي صلى الله عليه وسلم قول ذي
النون لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين دعوة كما تقدم في
الحديث وفي الترمذي كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
وفي الصحيحين عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم فسمى هذا دعاء
مع انه ليس فيه تصريح بالسؤال قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله
في الكلام على دعوة ذي النون قال فالسايل يسئل تارة بصيغة
الطلب وتارة بصيغة الخبر اما بوصف حاله او بوصف حال
المسؤل او بهما ومن حسن الادب في السؤال كقول ايوب مسني الضر
وانت ارحم الراحمين والسؤال بالحال ابلغ من جهة العلم والبيان
وبالطلب اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالب الدعا
من القسم الثاني لان السايل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة فان
تضمن وصف حال السايل والمسؤل فهو اكمل كقوله اللهم اني ظلمت
نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك
وارحمني انك انت الغفور الرحيم فيه وصف لحال نفسه المقتضي
حاجته الى المغفرة ووصف ربه انه لا يقدر على هذا غيره وفيه
تصريح بالمطلوب وفيه وصف الرب بما يقتضي الاجابة وهو
وصفه بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه اكمل الانواع انتهى قال
ابن كثير وقد يكون السؤال بالاخبار عن حال السايل واحتياجه
كما قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وقد يتقدمه
مع ذلك وصف المسؤل كقول ذي النون لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد الثنا على المسؤل كقول الشاعر

اذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحباء

اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء وقول المعترض
ان الشيء الواحد يكون بالنسبة الى الحي طاعة وللميت والغايب يكون
عبادة لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا يقال لهذا وهل يوجد شيء واحد
يختلف اسمه باختلاف متعلقه وهو قولك ان سؤال الميت والغايب
لا يسمى دعاء بل هو ندا وسؤال العبد ربه يسمى دعاء ليس معك على
هذا الا مجرد دعوى باطلة قد بينا بطلانها وافتضاحها وقوله
فيما بعد بل على قولكم ان الطلب نفسه عبادة يقتضي الا فرق بين
الحياة والممات لان العبادة ممنوعة في الحالين انتهى قوله يكون
بالنسبة للحي طاعة جعل سؤال الحي طاعة وهو كاذب في جعله طاعة
لان الله تعالى لم يامر مخلوقا قط ان يسال مخلوقا بل تواترت الاحاديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم السؤال وبايع صلى الله عليه وسلم
جماعة من اصحابه على ان لا يسالوا الناس شيئا وفي حديث ابن عباس
اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله اي وحده وترك
سؤال الناس من كمال التوحيد وهذا المفتري يقول ان الله يقول
سلوا عبادي خصوصا الاموات والغايبين واستعينوا بهم ومسئلة
الناس قد تكون محرمة وتكون مكروهة وتكون جايزة وتسميتها
طاعة خطأ وضلال وكذا قوله ولا عرفا خطأ لان العرف لا مدخل له
في العبادات واما قوله اذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك اي سؤاله
بل هو يقول انه طاعة لان الله امر به في زعمه ويقول اذا قلتم
ان الطلب عبادة يقتضي ان لا فرق بين الحياة والممات وهذه
شبهة ربما تدخل في نفوس كثير من الناس فيقال اولا ذو الفطرة
السليمة وان كان جاهلا يفرق بين الحي والميت الطلب من الحي
الحاضر ما في يده وبين الطلب من الميت والغايب ولا يسوي بين
الحي والميت الا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطر الله
عليها الانسان اعماه الهوى والتقليد وقد قال الله وما يستوي

الاحياء ولا الاموات معنى ذلك انه لا يستوي المؤمن والكافر كما لا يستوي
الحي والميت شبه المسلم بالحي والميت بالكافر فلما كان معلوما عند
المخاطبين ان الحي والميت لا يستويان يقول يعلم سبحانه وكذلك المؤمن
والكافر فمن سوى بين الحي والميت بقوله يطلب منه الميت ما
يطلب من الحي فقد سوى بينهما فرق الله بينه حتى المجانين يفرقون
بين الحي والميت فلو قصد مجنون بيت انسان ليطعمه فوجده ميتا
واهله عنده لعدل بكله الى الطلب من اهله الاحياء الحاضرين عنده
ولم يلتفت الى الميت ومما يوضح بطلان هذه الشبهة ان الله سبحانه
امر عباده بالاستعاذة به كما في المعوذتين ومواضع من القرآن معلومة
وكذلك في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كثير وفعل العبد
ما امره به ربه امر ايجاب او استحباب عبادة له باجماع العلماء فاذا
امتثل العبد ما امره ربه فاستعاذ به او بصفاته فقد عبده والاستعاذة
نوع من الدعاء لان المستعيذ يلتجئ الى الله ليدفع عنه ما يحذر وصوله
اليه مما يكره او ليرفع ما قد وصل اليه من ذلك كما في الحديث اعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وهذا حقيقة الدعاء
فلما كان مستقرا عند العلماء ان الاستعاذة بالله عبادة له قالوا لا
تجوز الاستعاذة بمخلوق فلما كان هذا الاصل مستقرا عندهم
استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق لانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلامنه وقولا وهذا من حجة اهل
السنة على الجهمية القائلين بخلق القرآن يقولون لو كان القرآن
مخلوقا امتنعت الاستعاذة به فعلى ما ذكرنا ان الاستعاذة نوع
من الدعاء كما قرره شيخ الاسلام وهو واضح فالعلماء القائلون
بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون لا يجوز دعاء المخلوق لان
الاستعاذة دعاء حقيقة لان المستعيذ يرب به يطلب منه دفع
مكروه او رفعه وهذا حقيقة الدعاء قال شيخ الاسلام تقي الدين

رحمه الله تعالى

رحمه الله تعالى فالاستغاثة والاستجارة والاستعاذة كلها من نوع الدعا
وهي الفاظ متقاربة وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة دعاء كما في
السنن ان رجلا قال يا رسول الله علمني دعاء ادعو به قال قل اللهم اني ١٢٦
اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي
ومن شر منيي وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ
بك من الخيانة فانها بئست البطانة رواه ابو داود باسناد صحيح
وفي السنن عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء
الكلمات اللهم اني اعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر
الغنا والفقر وفي صحيح مسلم كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك
وجميع سخطك والمقصود من ايراد هذه الاحاديث بيان ان
الاستعاذة تسمى دعاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما
قال العلماء الاستعاذة لا تجوز بمخلوق بل هي مختصة بالله سبحانه
لانها دعاء فهكذا سائر انواع الدعا اذا تقرر هذا فمن المعلوم
بالضرورة انه لو خاف انسان من عدو له فالتجا الى حي حاضر يجيره
من عدوه لم يكن بهذا باس عند احد من جميع المسلمين وليس بداخل
تحت قول العلماء ان الاستعاذة لا تجوز بمخلوق فهذا شيء واحد
اختلف حكمه باختلاف متعلقه فبالنسبة للحي الحاضر جايز وبالنسبة
لغيره ممتنع فكذلك دعاء غير الله (قضاء الحاجات لا يجوز لقوله تعالى) بطلب
فلا تدعوا مع الله احدا ولا يدخل في هذا النهي طلب الانسان حاجة
من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر ويقال ايضا هذا المساوي
بين الحي والميت لو اعطى انسان آخر مالا وقال اودعه عندك ثقة فذهب
به الوكيل واودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر وقال
هذا وديعة عندك لفلان واستحفظه اياه فضاع لعدة الناس

مجنونا جنونا لا يرفع التكليف والزمه بالضمان ويلزمه هذا الذي
ساوى بين الحي والميت ان يقول هو مصيب فيما فعله ولا ضمان
عليه وربما انه لا يلتزم هذا خرقا من الفضيحة عند الناس وحينئذ
يقول الوكيل في الايداع انما فرطت على مذهبك في التسوية
بين الحي والميت لانك تقول ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من
الميت وانا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة
وهي حاجتي عنده وانت تجوز طلب الحاجات من الاموات
فكيف تخطيني ومما يوضح بطلان شبهته ما لو خرج شخصان من
بيتهما وقصد احدهما رجلا حيا غنيا وقال اشكو اليك الجوع
وقصد الآخر هبلا وقال يا هبل اشكو اليك الجوع هل يستوي
الشخصان عند جاهل فضلا عن العالم فهذا شيء واحد يختلف
حكمه باختلاف النسبة فبالنسبة الى هبل شرك وبالنسبة الى الرجل
الحي الحاضر الغني جائز لا يتوقف في هذا عاقل وعلى مذهب هذا
الضال في قوله ان الطلب من المخلوق لا يسمى دعاء بل هو نداء فلا
يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه لانه يقول انما الدعاء
الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وآلها فصريح كلامه
انه لو استغاث بالعزى او مناة او اللات ونحوهما ان ذلك لا
يضر لانه ليس بعبادة عنده ما لم يسم من دعاه او استغاث
به ربا وآلها ومن الفرق بين الحي والميت ان الاستغاثة بالحي
انما تكون بالاسباب الظاهرة بحسب الاسباب الظاهرة بالفعل
واما الميت فحركته منقطعة وانما يزعم الذين يدعونهم ان نفعهم
بالقوة والتاثير الذي يسميه بعضهم السر ولا يشك عاقل في
انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحي فان قيل هذه الاوثان
المعروفة للمشركين جماد كاللات ومناة والعزى والمقبور
انسان فما الجامع بينهما قلنا نصوص القرآن في النهي عن دعوة

غير الله

غير الله عامة في كل من دعا من دون الله ما لا يضر ولا ينفع قال
الله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقال تعالى
فلا تدعوا مع الله احدا وقال قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا الآية وقال ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا
يستجيب له الى يوم القيمة الآية قال البيضاوي على هذه الآية هذا
انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع
المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم
فضلا عن ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم وهم عن دعائهم غافلون
لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم وقال تعالى
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم والذم انما توجه الى من دعا من
هذه صفته سواء كان بشرا او ملكا او صنما وهو من لا ينفع من
دعاه ولا يضر من لم يدعه ومن دعا من لا يسمع دعاءه او لو سمع
ما استجاب له لاستحالة الاجابة منه وهذه صفة الميت وقال سبحانه
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
وهذه ايضا صفة الميت ومن المعلوم ان المشركين يعبدون
الملائكة والمسيح وامه وعزيرا والجن ويعبدون اللات وهو رجل
صالح في قول ابن عباس ومجاهد ويعبدون الاصنام المصورة
في زعمهم على صورة من يعتقدونه كفعل قوم نوح في تصويرهم
على صور الذين ذكرهم الله في سورة نوح قال الله تعالى فيمن يعبد
الملائكة ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
وقال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الى ان قال وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم فهذا صريح في انهم يعبدون الملائكة
وما قاله الصحابة والتابعون في آية سورة بني اسرائيل والمراد
بذلك بيان بطلان ما لو قال جاهل انهم انما يعبدون الاصنام فقط

وقال ابن القيم بعد كلام سبق ومن هاهنا اتخذوا اصحاب الروحانيات
والكواكب اصناما زعموا انها على صورتها فوضع الصنم انما كان
في الاصل على شكل معبود غايب فجعلوا الصنم على صورته وشكله
وهيئته ليكون نايبا منابه وقايما مقامه والا فمن المعلوم ان
عاقلا لا ينحت خشبة او حجرا بيده ثم يعتقد انه الهه ومعبوده
ومن اسباب عبادتها ايضا ان الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم
منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم
وهم لا يشاهدون الشياطين انتهى والمقصود بيان ان عباد
الاصنام انما قصدوا عبادة من صور الصنم على صورته من
ملك او نبي او صالح او كوكب فكل ما في القرآن من النهي عن دعاء
غير الله والانكار على من دعا غيره يتناول كل معبود للمشركين
من نبي وبشر حي او ميت او صنم يوضح ذلك قول الله سبحانه قل
ادعوا الذين زعمتم من دونه اي ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا اي لا يملكون كشف الضر بالكلية ولا تحويله
من موضع الى غيره ولا تغيير صفته وقال المفسرون من الصحابة
والتابعين ان هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملايكة وعيسى وامه
وعزير وفيمن يعبد الجن وهؤلاء غايبون احياء وفيهم من هو
ميت فكل من دعا ميتا او غايبا تناولته الآية وقال تعالى ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية واما الطلب من الحي
الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر فليس مرادا بالنهي ولا
يمنع منه لقوله قال الله تعالى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه وقال تعالى وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا المنافق وقال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الآية

فمن

فمن ساوى بين الاحياء والاموات في ذلك بقوله ما جاز طلبه من الحي جاز
طلبه من الميت فقد جمع بين ما فرق الله بينه وضل ضلالا بعيدا ويقال
هذا المساوي بين الاحياء والاموات من المعلوم ان اهل الدنيا
يستقضون حوايجهم بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم
وقد استعار النبي صلى الله عليه وسلم ادراعا من صفوان بن امية
وهو مشرك واستعان في بعض غزواته بناس من المشركين وما زال
المسلمون يستقضون حوايجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر
فيلزم المسوي بين الاحياء والاموات ان يساوي بين اموات المذكورين
كما كانوا في الدنيا كذلك فان قال طلب الحاجات مختص بموتى الصالحين
فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق قيل نقضت اصلك حيث
فرقت بين احياء هؤلاء واموتهم فان قال موتى الصالحين في
قبورهم احياء كانهم وهو كاذب في ذلك لم يرد في ذلك حديث الا
ما اخبر الله سبحانه من حياة الشهداء مع ان حياتهم لا تدرك بالحس
ولا بالعقل فالله سبحانه اعلم بحقيقتها واما سوى الشهداء فاخبر الانبياء
فلم يأت خبر عن الرسول انهم احياء في قبورهم وانما هو افتراء وكذب
من هذا الضال فان قال ان صالحي الاموات ينعمون في البرزخ قيل
وضدهم يعذبون فيدركون العذاب كما يدرك الصالح النعيم وهذا
ادراك واحساس لا يعلم حقيقته الا الله والحاصل ان من سوى
بين الحي والميت في استقضاء الحوايج فقد ضل في عقله ودينه وفي نصوص
القرآن كثيرة في ابطال هذا القول والله سبحانه جعل اهل الدنيا
فيها وخولهم ما ملكهم فيها ولا يتم امرهم الا بمعاونة بعضهم بعضا
ولم يحجر عليهم سبحانه التعاون والتناصر فيما لا يسخطه والله في عون
العبد ما كان العبد في عون اخيه يوضح ذلك ان دعاء الانسان للمسلمين
واستغفاره لهم وقضاء حوايجهم ومعاونتهم عليها من الاعمال
الصالحة المرغب فيها فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عمله

قد انقطع وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ابن
آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به من بعده
او ولد صالح يدعو له فدل على ان هذه الاشياء التي يطلبها المشركون
من الاموات من قضاء حوائجهم والدعاء لهم ونحو ذلك التي هي اعمال
صالحة من الحي قد استحال وجودها من الميت فطلبها منه مستحيل
لعجزه حسا فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا فهو داخل تحت قوله تعالى ومن اضل ممن يدعو من
دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون الآية
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا
من الظالمين والنبي صلى الله عليه وسلم فرق بين الحي والميت في الحديث
المتقدم كما فرق الله بينهما في مثل قوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات
وجميع العقلاء بل والجمادات كما قدمنا يفرقون بين الحي والميت
فالميت لا يستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه ولو فرض سماعه فهو
عاجز لا يمنع من دعاه كداعي الجمادات قال الله تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم فالمتصف بعدم سماع الدعاء وعدم الاستجابة
والمتصف باحدهما ممتنع دعاؤه شرعا وعقلا تتناوله هذه
الايات ونحوها من آي القرآن فان قيل وردت الآثار
بسماع الميت قلنا لم تدل على انه يسمع كل كلام قال شيخ الاسلام
تقي الدين رحمه الله تعالى وردت الآثار بسماعه بان الميت يسمع
لكن لا تدل على انه يسمع كل كلام قال ابن عبد البر صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يمر بقبر اخيه كان يعرفه
في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام
فهذا وغيره يدل على ان روح الميت ليس دائما في قبره وان لها
اتصالا به لا يعلم حقيقته الا الله واعتبر هذا بسرعة نزول الملك

وروح النايم وشعاع الشمس ونحوه وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عن صفة حياة الشهداء بما في صحيح مسلم عن ابن مسعود لما سئل عن
ذلك فقال انا سالنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر
لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي
الى تلك القناديل الحديث ففسر حياتهم بذلك وثبت في الحديث
الذي رواه مالك في الموطا عن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما نسمة المؤمن طاير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى
جسده يوم يبعثه ورواه الترمذي وصححه فهذا يدل على ان روح
المؤمن في الجنة وتدل الآثار على ان لها اتصالا به في القبر لا يعلم
حقيقته الا الله قوله يعلق روي بفتح اللام وضمها والمعنى واحد
وهو الاكل والرعي يقول ياكل من ثمار الجنة ويرعى ويسرح بين
اشجارها وسيأتي لذلك زيادة بيان ان شاء الله وانما المقصود
هنا بيان بطلان قوله في تسويته بين الحي والميت وتجويزه الطلب
من الميت ما يطلب من الحي وان ذلك لا يسمى دعاء قال وانما الدعاء الذي
هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وآلها وقد بينا فيما تقدم بطلان
قوله ان ذلك لا يسمى دعاء واما كونه يسمى عبادة فتقدم ما يدل على
ذلك وسيأتي له زيادة ايضاح ان شاء الله تعالى ومما يوضح ذلك
معرفة حد العبادة في الشرع وانها كلما امر الله به الامتثال ورسوله امر
ايجاب او استحباب فهو عبادة وبعض العلماء يقول العبادة في الشرع
هي الطاعة فيتناول فعل المأمور وترك المحظور ومما امر الله به
دعاؤه وسؤاله قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
الى قوله وادعوه خوفا وطمعا وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم
وقال تعالى واسئلوا الله من فضله وقال قل سلوا الله تعالى انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال واذا سالك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال واسئلوا الله من فضله

وقال فابتغوا عند الله الرزق اي لا عند غيره لان تقديم المعمول
يفيد الاختصاص عند البيانيين وفي حديث نزول الرب الى سماء
الدنيا من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني
فاغفر له وفي السنة من ذلك ما لا يحصى فاذا امتثل العبد امر ربه
فدعاه مخلصا صار ذلك عبادة منه لربه فاذا دعا غيره
فقد عبد ذلك الغير وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم الدعاء هو
العبادة وفي الحديث آخر الدعاء مخ العبادة فسمى النبي صلى الله عليه وسلم
الدعاء عبادة فالدعاء في نفسه عبادة فكل مدعو معبود وما اردي
ما يقول هذا في دعاء العبد ربه واستغاثته به هل هو عبادة ام لا
فان قال ليس عبادة فهذا مكابرة يعرفه كل عاقل ومخالفة للكتاب
والسنة واجماع الامة وان اقر انه عبادة من العبد لربه قيل له هل
تجد شيئا واحدا يكون بالنسبة الى الله عبادة وغير عبادة بالنسبة
الى غيره فيظهر حينئذ بطلان شبهته التي اعتمدها في قوله انه لا يوجد
شيء واحد بالنسبة للحي طاعة وللميت عبادة وان هذا لا يوجد شرعا
ولا عرفا وهذا الرجل لما قرر ان الطلب من الاموات والغايبين
والاستغاثة بهم جايز بل يقول كما يأتي في احتجاجه بالآية ثم قال
وانما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وآلها فخص
الدعاء الذي هو عبادة في تسمية المدعو ربا وآلها لانه يقول ان
مجرد الطلب لا يضر مقتضى اطلاقه وان كان المطلوب منه صنما
او شجرا او حجرا وان طلب منه مغفرة الذنوب وهداية القلوب وانزال
الغيث وشفاء المرضى فان هذا لا يضر عنده اذا لم يسمه او يعتقده
ربا وآلها وهذا الرجل لما اجتمع بي قبل تسويده هذا بنحو ثمان
سنين ومعه ورقة نقل فيها عبارات لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
يشبه بها على بعض الناس فاحضرته وجثته واذا هو في هذا الاصل
العظيم جاهل جهلا مركبا ومعاند وآخذ العلتين في المرء تهلكه

وقلت

وقلت له اخبرني ما حقيقة هذا الشرك الذي لا يغفر وصاحبه مخلد في
النار فقال الشرك السجود لغير الله لاغير فاوردت عليه بعض الادلة
فبهت واحب قطع الكلام بالموافقة ظاهرا وكتبت على ورقته التي معه
اوراقا سميها بعض الطلبة بالانتصار وما زال من ذلك الوقت يبحث
ويدأب في تحصيل ما جمعه في هذه الاوراق التي اطلعنا عليها وقوله
ان اجهل المسلمين لا يسمي غير الله ربا والها ولا يقصد ذلك فيقال
التسمية لا حكم لها ولا تغير حقيقة الشيء بتغيير الاسم كما جاء عنه صلى الله
عليه وسلم انه يأتي ناس من امتي يسمون الخمر بغير اسمها وكذا من سمى
الزنا نكاحا فالتسمية لا تزيل الشيء ولا الحكم ومن عامل معاملة ربوية
فهو مرابٍ وان لم يسمه ربا فكذا من ارتكب شيئا من الامور الشركية
فهو مشرك وان سمى ذلك توسلا وتشفعا ونحوه والشيطان لما علم
ان النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تالها اخرجه في
قالب آخر تقبله النفوس ومما يفضح هذا في دعواه ان طلب المخلوق
من المخلوق لا يسمى دعاء بل هو نداء وانما الدعاء الذي هو عبادة فهو
اتخاذ غير الله ربا والها فعلى قوله ان من نادى ابليس وطلب منه
قضاء حاجاته وكشف كرباته مع كونه لا يسميه ربا ولا الها بل يقول انا
ابغضه ولكن اطلب منه حوائجي واستنصر به على عدوي لانه يقوى
على ما لا يقوى عليه البشر ولا يضرني ذلك على مذهب الشيخ داود لاني
لا اسمي الشيطان ربا ولا الها ولا اعتقد ذلك فيه فعلى مذهبه الباطل
ان هذا جائز يحقق ذلك ان كل احد يعترف بان عبادة غير الله شرك
وقد قدمنا تعريف العبادة فمن جعل نوعا من انواع العبادة
لغير الله فقد اشرك وان كان لا يظنه شركا ولا تالها وسماه باي اسم
شاء فالمشرك مشرك شاء ام ابى كما ان المرابي مرابٍ شاء ام ابى يوضح
ذلك ان من اطاع مخلوقا في تحليل ما حرم الله او تحريم ما احل الله
فقد اتخذه ربا والها من دون الله قال الله تعالى اتخذوا احبارهم

ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الهاً واحداً الآية وروى الامام احمد والترمذي وغيرهما ان عدي
بن حاتم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تنصر في الجاهلية
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية اتخذوا احبارهم ورهبانهم
الآية ارباباً من دون الله فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لم يعبدوهم
فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك
عبادتهم اياهم وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه
الآية انهم اتبعوهم فيما حللوا وقال الربيع انسب قلت لابي العالية
كيف كانت الربوبية في بني اسرائيل قال كانت الربوبية انهم وجدوا في
كتاب الله ما امروا به وما نهوا عنه فقالوا لن نسبق احبارنا بشيء
فما امرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستصحوا الرجال
ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وقال ابو البختري اما انهم لم يصلوا لهم
ولو امروهم ان يعبدوهم ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله
حرامه وحرامه حلاله فاطاعوهم فكانت تلك الربوبية انتهى فهؤلاء
الذين اخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا احبارهم ورهبانهم اربابا
ولا آلهة ولا كانوا يظنون ان فعلهم هذا معهم عبادة لهم ولهذا قال عدي
انهم لم يعبدوهم وحكم الشيء تابع لحقيقته لا لاسمه ولا لاعتقاد فاعله
فهؤلاء كانوا يعتقدون ان طاعتهم لهم في ذلك ليست بعبادة لهم فلم يكن
ذلك عبادة لهم ولا منزلا لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه فكذلك ما يفعله
عباد القبور في سؤالهم من المقبورين قضاء الحاجات وتفريج الكربات
والتقرب اليهم بالنذور والذبائح عبادة منهم للمقبورين وان كانوا لا
يسمونه ولا يظنونه عبادة ويوضح ذلك ايضا ما روى الترمذي وصححه
عن ابي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين
ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون
بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله

اجعل

اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتتبعن سنن من كان قبلكم فهؤلاء
لعدم علمهم بالكفر ما كانوا يظنون ان الذي طلبوه من التأله لغير الله
لانهم يقولون لا اله الا الله ويعرفون معناها وخفي عليهم ان ذلك
الذي طلبوه مما تنفيه لا اله الا الله فلم يكن ظنهم مغيرا لحقيقة هذا
الامر وحكمه ومن له معرفة بما بعث الله به رسوله علم ان ما يفعل عند
القبور من دعاء اصحابها والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم اعظم
واكبر من فعل الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله واقبح من الذين قالوا اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط
قال ابن القيم رحمه الله فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق
الاسلحة والعكوف عليها اتخاذا له مع الله مع انهم لا يعبدونها ولا
يسئلونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء ودعائه والدعاء
عنده فاي نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر لو كان اهل الشرك
والبدعة يعلمون وقد قال الله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن
كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون الا يدرون
ابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال قال ابو رافع
القرظي حين اجتمعت اليهود والنصارى من اهل نجران عند النبي
صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام اتريد يا محمد منا ان نعبدك
كما تعبد النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من اهل نجران نصراني
يقال له الرئيس او تريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى ذلك منا يا محمد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر
بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فانزل الله في ذلك
من قوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الى قوله مسلمون فبينا سبحانه

ان من عبد الملائكة والنبيين فقد اتخذهم ارباباً من دون الله وانه يكفر
بذلك وان لم يعتقد ربوبية او لم يسمه رباً واما من امر بعبادتهم
فقد امر باتخاذهم ارباباً من دون الله فكيف بمن هو دونهم وهذا
الذي يقول ان الله امر عباده المؤمنين ان يطلبوا حوائجهم من
الاموات والغايبين ويقول بجواز الذبح والنذر لهم وغير ذلك
من انواع العبادات غير السجود لهم لانه حسن كلمته قال ان الممنوع
منه السجود للميت فقط فحقيقة قوله ان الله امر عباده ان يتخذوا
اهل القبور ارباباً من دون الله وان تبرأ من ذلك فهو حقيقة
دعواه وقوله والدليل على ان النداء والطلب من الاموات والغايبين
ليس بعبادة بل هو مامور به شرعاً آيات واحاديث وآثار
قال الدليل الاول قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة فالعجب من هذا الملحد لم يقتصر على الجواز بل ادعى
ان الله امر عباده المؤمنين بذلك ولعله يرى ان الامر فيما فهمه
من الآية للوجوب ولان الاصل في الامر الوجوب ما لم يوجد دليل
يصرفه الى الاستحباب وبكل حال يقول ان الله امر عباده المؤمنين
ان يفزعوا الى الاموات في قضاء مآربهم وكشف شدايدهم سواء
قال الامر للايجاب او الاستحباب ومقتضى كلامه العموم في جميع
الاموات صالحهم وطالحهم ما اجرى هذا على الكذب على الله و
الالحاد في آيات الله بوضعها على غير ما اراد الله قال تعالى ان الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا قال ابن عباس يلحدون في آياتنا
يضعون الكلام على غير مواضعه قال الله تعالى فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم فعلى قول هذا ان الله يحب من
عباده ان يطلبوا حوائجهم من الاموات والغايبين انه ينبغي الاكثار
من ذلك والالحاح في الطلب منهم لان الله يحب الملحين في الدعا
ويقتضي ايضا ان يستكثر الانسان من المدعوين المطلوبين

ويعلق

ويعلق قلبه ورجاءه بالكثير منهم بحيث يقول لو لم يجبني بعض اجابني
الآخرون فيصير الاستكثار اوثق عنده واجب عنده واحب
الى الله في زعم هذا الضال فيا سبحان الله اين رباب متفرقون خير
ام الله الواحد القهار وظاهر كلامه في اطلاقه انه يطلب من الاموات
والغايبين كل شيء وقد قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله من جوز
ان يطلب من المخلوقات كلما يطلب من الخالق من كشف الشدايد
فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لا يطلبون منها كلما يطلب من
الخالق من كشف الشدايد الله كما قال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين الاية
فبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله او اتت الساعة لا يطلبون الا
الله في كشف الشدايد وجلب الفوايد وقال تعالى واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه قال وقد وقع في كثير من ذلك من وقع
من العامة وغيرهم انتهى وافترا هذا الرجل على الله اعظم من افترا
الذين اخبر الله عنهم بقوله واذا فعلوا فاحشة او ظلموا قالوا
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها نزلت هذه الآية في الذين يطوفون
بالبيت عراة اتبعوا في ذلك آباءهم ويزعمون انه مستند الى امر الله
فقال تعالى كذبوا بل هم ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون
وهذا يقول ان الله امر بدعاء الاموات والغايبين ووجدنا
الناس على هذا غيركم وهذا الامر الذي ادعى ان الله امر به جميع عباده
مما بعث الله الرسل من اولهم الى آخرهم ينهون عنه قال تعالى ولقد
بعثنا في كل امة رسولا الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والآيات في هذا كثيرة معلومة
والدعاء من اجل العبادات كما في الحديث المرفوع الدعاء مخ العبادة
قالوا معناه خالص العبادة لان الداعي انما يدعو عند انقطاع امله
مما سوى الله وهذا حقيقة التوحيد والاخلاص وفي الحديث الآخر

ان الدعا هو العبادة وفي الحديث الآخر ان الله يحب الملحين في الدعا
وفي حديث آخر من لم يسئل الله يغضب عليه وفي الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث
الليل فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له فذكر او لا لفظ الدعا ثم السؤال ثم الاستغفار
والمستغفر سايل كما ان السايل داع فعطف السؤال والاستغفار
على الدعا من عطف الخاص على العام الذي يتناولهما وغيرهما
قاله شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله والله سبحانه امر بدعائه
في كتابه في مواضع والنبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعاء الله
واستغفاره وامر بذلك في احاديث كثيرة وقال الله تعالى اياك
نعبد واياك نستعين قال ابن عباس اياك نعبد اياك نوحد ونخاف
ونرجو يا ربنا لا غيرك واياك نستعين على طاعتك وعلى امورنا
كلها وقال قتادة يأمركم ربكم ان تخلصوا له العبادة وان تستعينوه
على امورهم كلها وتقديم المعمول في الكلمتين يفيد الحصر والاختصاص
عند البيانيين وجميع المفسرين فالقاري لما ذكر الحقيق بالحمد وصفه
بصفات عظام تميز بها عن سائر المخلوقين وتعلق العلم بمعلوم
عظيم الشأن حقيق بالثنا وغاية الخضوع والاستعانة لمهمات
خوطب الموصوف بتلك الصفات فقيل اياك نعبد يا من هذه
صفاته نعبد واياك نستعين لا غيرك قال ابن القيم رحمه الله تعالى
وتضمن الخلق والامر والثواب والعقاب انتهى الى هاتين
الكلمتين اياك نعبد واياك نستعين وعليهما مدار العبودية والتوحيد
حتى قيل انزل الله مائة كتاب واربعة كتب جمع معانيها في التوراة
والانجيل والقرآن وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن وجمع
معاني القرآن في المفصل وجمع معاني المفصل في الفاتحة وجمع
معاني الفاتحة في اياك نعبد واياك نستعين وهما الكلمتان

والكتب والشرايع

المقسومتان

المقسومتان بينا الرب و بين عبده نصفين فنصفها له اياك نعبد
و نصفها لعبده و هو اياك نستعين انتهى فالله سبحانه فرض على العباد
ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يستعينوا به وحده و هذا
الملحد المفتري على الله الكذب يقول ان الله يامركم ان تستعينوا
بالاموات والغايبين و ترغبوا اليهم في مهماتكم ما اعظم هذه الملحادة
لله و قد قال تعالى و الى ربك فارغب اي ارغب اليه لا الى غيره
و قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالت فاسئل الله و اذا استعنت
فاستعن بالله و قد قررنا فيما تقدم تعريف العبادة وان كلما
امر الله به او رسوله امر ايجاب او استحباب فهو عبادة فاذا دعوت
الله فقد عبدته فاذا دعوت غيره من ميت او غايب او حجر او
شجر فقد عبدت ذلك الغير فاذا سجدت لله فقد عبدته فاذا سجدت
لغيره صرت عابدا لذلك الغير فاذا ذبحت لله فقد عبدته فاذا
سجدت لغيره صرت عابدا لذلك الغير ذبحت لغيره صرت عابدا له
وهكذا سايرالعبادات هذا مع ان نصوص القران في النهي عن
دعاء غير الله و ذم من فعل ذلك والانكار عليه اكثر من النهي عن
خاصة السجود لغيره كما هو معلوم عند الخاصة والعامة قال
شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى دعوة ذي النون لفظ الدعا
والدعوة في القران يتناول دعا العبادة و دعاء المسئلة وفسر قوله
سبحانه ادعوني استجب لكم بالوجهين و قال ابن القيم في بدايع الفوايد
بعد آيات ذكرها و هذا في القران كثير يبين ان المعبود لابد ان يكون
مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسئلة و يدعى رجاء
وخوفا دعا عبادة فعلم ان النوعين متلازمان فكل دعا عبادة
مستلزم لدعا المسئلة وكل دعا مسئلة متضمن لدعاء العبادة
الى ان قال وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما
ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال له في حقيقته

في الكلام

الواحدة المتضمنة للامرين جميعا انتهى فعلى هذا فنهيه سبحانه عن
دعاء غيره نص في دعاء العبادة ودعاء المسئلة حقيقة فهو نهي
عن كل واحد منهما حقيقة قال الله تعالى والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير فهذا يتناول نوعي الدعاء ثم قال ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم فهذا صريح في دعاء المسئلة ولهذا قال ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ومن لا يسمع دعاء من دعاه ليس باهل
لان يدعى ومن لا يستجيب له لو سمعه لا يستحق ان يدعى وهذه
حال الميت لا يسمع دعاء من دعاه ولو فرض انه سمعه لم يستجب
له لعجزه فقوله سبحانه والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير الآية تتناول كل من يدعوه المشركون من دون الله
ومعلوم انهم يدعون الملائكة والمسيح وامه وعزيرا والجن و
اللات وغيرهم وبعض من يدعونه ميت يدخل في العموم فان قيل
ان الميت يسمع قلنا كما تقدم انه لم يثبت انه يسمع كل كلام فقوله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وكذلك الحديث الذي تقدم ما من مسلم يمر
بقبر اخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه
حتى يرد عليه السلام يدل على ان الروح يحصل حين السلام وقال
الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا الآية قال شيخ الاسلام ابو العباس بن تيمية رحمه الله
في الكلام على هذه الآية لما ذكر ان من السلف من ذكر ان المراد
بهم الملائكة ومنهم من ذكر معهم الانس كالمسيح وامه وعزير ومنهم
من ذكر انهم من الجن قال ان السلف يذكرون جنس المراد من الآية
على التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله عن لفظ الخبز فيه رغيفا
والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من دون الله فكل من
دعا ميتا او غايبا من الانبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة

او غيرها

او غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن
ومعلوم ان هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بافعالهم ومع
هذا فقد نهى عن دعائهم وبين انهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين
ولا تحويله لا برفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع الى موضع ومن حال
الى حال كتغيير صفته او قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر نكرة تعم
انواع التحويل وقال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا كان احدهم اذا سافر ونزل واديا قال اعوذ
بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه فقالت الجن الانس تستعيذ بنا
فازدادوا رهقا وقد نص الائمة كاحمد وغيره على انه لا يجوز
الاستعاذة بمخلوق وهذا مما استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق
لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه استعاذ بكلمات الله وامر بذلك فاذا
كان لا يجوز ذلك فلان لا يجوز ان يقال انت خير معاذ يستعاذ به اولى
فالاستعاذة والاستغاثة والاستجارة كلها من نوع الدعاء والطلب
وهي الفاظ متقاربة انتهى وقد قدمنا بعض الاحاديث التي فيها
تسمية الاستعاذة دعاء ولهذا كانت الائمة المصنفون يدخلون
احاديث الاستعاذة في اثناء كتاب الدعوات كصاحبي الصحيحين و
غيرهما لان الاستعاذة عندهم دعاء حقيقة وهذا ظاهر فقول
الانسان اعوذ بفلان من كذا واسأله ان يدفع عني او يرفع عني
كذا فهو في الحالتين سائل داع طالب فانظر الى قوله رحمه الله فكل
من دعا ميتا او غائبا تناولته هذه الآية وهو ظاهر لان هؤلاء الغائبون
كالملائكة والمسيح وغائب الملائكة اقرب من غائب البشر ويقدرون
على ما لا يقدر عليه البشر وهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بافعالهم
وممن اريد بالآية من هو ميت كمريم وعزير ومن المعلوم يقينا ان
اموات البشر وغائبهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا عن دعائهم
ولا تحويله من حال الى حال فالآية تتناولهم قطعا فيقال لداعيهم

ادعوهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله وقال ابن القيم
في المدارج ومن انواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستعانة
بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع
عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا لمن استغاث به وسأله
قضاء حاجته او سأله ان يشفع له الى الله فيها والميت محتاج الى من
يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما اوصانا النبي صلى الله عليه وسلم
اذا زرنا القبور المسلمين ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية
والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة
واستقضاء الحوائج والاستعانة بهم وجعلوا قبورهم اوثانا تعبد
وسموا قصدها حجا فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه
ومعاداة اهل التوحيد ونسبة اهله الى التنقص بالاموات وهم
قد تنقصوا الخالق بالشرك به واولياءه الموحدين له الذين لم
يشركوا به شيئا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به
غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به
وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء اعداء الرسل واهل التوحيد في كل
زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم وما انجا من شرك هذا الشرك
الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب
بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده فجرد
حبه وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته
بالله اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل
لله فهو لله وبالله ومع الله وقال في موضع آخر وهكذا قول
عباد المسيح سواء للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ان المسيح عبد
قالوا تنقصت المسيح وعبته وهكذا اشباه المشركين لمن منع
اتخاذ القبور اوثانا تعبد ومساجد وامر بزيارتها على الوجه
الذي اذن الله فيه ورسوله قالوا تنقصت اصحابها فانظر الى

هذا

هذا التشابه بين قلوبهم حتى كانهم قد تواصوا به ومن يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقد قطع الله سبحانه في
كتابه الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا يعلم من تأمله وعرفه
ان من اتخذ من دون الله وليا او شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فقال تعالى قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله الى قوله ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من
النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الاربع
اما ان يكون مالكا لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكا فان لم يكن
شريكا كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده
فنفى سبحانه المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى ما دونه
فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك وأثبت
شفاعة لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة باذنه وكفى بهذه الآية
نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده
لمن عقلها والقرآن مملوء من امثالها ونظايرها ولكن اكثر
الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم
قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين
فهم القرآن ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو
مثلهم وشر منهم ودونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ولكن
الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام
عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية وهذا لانه
وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه
وقع فيه واقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه
الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شرهما او دونه فتنقض
بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة

سنة والسنة بدعة ويكفر الانسان بمحض الايمان وتجريد التوحيد
ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ومن له
بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان هذا كلامه رحمه الله
تعالى في زمانه فكيف لو ادرك هذا الزمان فانا لله وانا اليه راجعون
وقال ابن القيم رح ايضا قال شيخنا وهذه الامور المبتدعة عند
القبور مراتب ابعدها عن الشرع ان يسال الميت حاجته ويستغيث
به فيها كما يفعله كثير من الناس قال وهو اكبر من جنس عباد
الاصنام وهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت او الغايب
كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين واهل
الكتاب يدعو احدهم من يعظمه فيتمثل لهم الشيطان احيانا احيانا وقد
يخاطبه ببعض الامور الغايبة وكذا السجود للقبر والتمسح به وتقبيله
المرتبة الثانية ان يسال الله به وهذا يفعله كثير من المتاخرين
وهو بدعة باتفاق المسلمين الثالثة ان يظن ان الدعاء عند
قبره مستجاب او انه افضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته
والصلاة عنده لاجل هذا الظن فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق
المسلمين وهو محرم وما علمت في ذلك نزاعا بين ائمة الدين
وان كان كثير من المتاخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان
الترياق المجرب والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد
الدعاء عند قبر ابي حنيفة من الكذب الظاهر انتهى قال ابن القيم رح
ورايت لابي الوفا بن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال
لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عنها واوضاع الشرع
الى اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها
تحت امر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم
القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من اتقاد النيران وتقبيلها
وتخليقها وخطاب الموتى بالحوايج وكتب الرقاع فيها يا مولاي

افعل

افعل بي كذا وكذا واخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور
وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات
والعزى انتهى المقصود منه وقال شيخ الاسلام وقد سئل
عن رجلين تنازعا فقال احدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين
الله فانا لا نقدر ان نصل اليه الا بذلك فاجاب رحمه الله بقوله
ان اراد بذلك انه لابد لنا من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق
فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما يأمر به وما
ينهى عنه الا بواسطة الرسل الذين ارسلهم الله الى عباده وهذا
مما اجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم
يثبتون الوسايط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا
عن الله امره ونهيه قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا
ومن الناس ومن انكر هذه الوسايط فهو كافر باجماع اهل الملل
وان اراد بالواسطة انه لابد لنا من واسطة يتخذها العباد بينهم
وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكونوا واسطة
في ترزق العباد ونصرهم وهداهم يسئلونه ذلك ويرجعون اليه
فيه فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا
من دون الله اولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ودفع المضار
فمن جعل الملايكة والانبياء وسايط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسالهم
جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنوب
وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر باجماع
المسلمين الى ان قال فمن اثبت وسايط بين الله وبين خلقه كالحجاب
الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الملك
حوايج خلقه وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم
بمعنى ان الخلق يسالونهم وهم يسالون الله كما ان الوسايط يسئلون
الملوك حوايج الناس لقربهم منه والناس يسئلونهم ادبا منهم ان

يا بشر واسؤال الملك اولا ان طلبهم من الوسايط انفع لهم من طلبهم
من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب فمن اثبتهم وسايط
على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا
قتل وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله انداد
وفي القران من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فان
هذا دين المشركين عباد المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون
انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسايل يتقربون بها الى
الله انتهى ملخصا وقال شيخ الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية
لما ذكر حديث الخوارج قال فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
من قد مرق من الاسلام مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب
الى الاسلام في هذا الزمان قد يمرق ايضا وذلك بامور منها
الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو
في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي او رجل صالح
وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول يدعوه من دون الله
يا من يقول يا سيدي فلان اغثني او اجبرني او توكلت عليك او انا
في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا
قتل فان الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل
معه اله آخر والذين يجعلون معه آلهة اخرى مثل الملايكة و
المسيح وعزير والصالحين او صورهم لم يكونوا يعتقدون يقولون انها
تخلق وترزق وانما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى احد من دون الله لا دعا
عبادة ولا دعا استعانة انتهى ونصوص القران كثيرة مصرحة
بان المشركين في الشدايد ينسون آلهتهم من الملايكة والبشر وغيرهم
ويخلصون الدعا لله كما قال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او
اتتكم الساعة الى قوله وتنسون ما تشركون وقال واذا مس الانسان

ضر

ضر دعاه لربه منيبا اليه الاية وقال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه
او قاعدا او قائما الاية والآيات في ذلك كثيرة معلومة فالله سبحانه رضي
اخلاصهم في هذه الحال الاحوال ومقتضى قول هذا المفتري ان الله
امرنا لطلب من الاموات وغيرهم وان الله يحبه ويرضاه ان يكون عدم
اخلاص هؤلاء المشركين في الشدايد اصوب لهم وان الاولى لهم الاستمرار
على الطلب من الملايكة والمسيح وعزير وغيرهم لان ذلك من الوسيلة التي
امر الله بها فيا نعم هذا الضال وكفى بهذا فضيحة له ومما يزيد ما
قررناه وضوحا ان الله سبحانه سمى الدعاء في كتابه دينا قال تعالى فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بريح طيبة
الاية والمراد بالدين في هذه الآيات الدعاء عند جميع المفسرين وهو
ظاهر مفسر في قوله لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقال
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وفي قوله اغير الله تدعون
ان كنتم صادقين بل اياه تدعون وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
تدعونه تضرعا وخفية اي سرا وعلانية لئن انجانا من هذه لنكونن
من الشاكرين اي لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وذكر سبحانه
الدين في هذه الآيات معرفا بالالف واللام وهو الدعاء وقال وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال فادعوا الله مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون وقال فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين وقال فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص
وقال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا الدين وقال تعالى قل الله اعبد
مخلصا له ديني فلما سمى الله سبحانه الدعاء دينا وامر باخلاص الدين له
وضد الاخلاص الشرك ومن جملة الدين الدعاء فمن جعل الدين
لغير الله فقد اشرك وقال الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله فمتى كان شيء من الدين لغير الله فالعصمة منتفية

مثل ص

شيئا منه ص

ومن انواع الدين الدعا بنص القران فان قيل ما معنى الوسيلة في قوله
سبحانه وابتغوا اليه الوسيلة قيل المراد بالوسيلة التقرب اليه سبحانه
بفعل ما امر به وترك ما نهى عنه قال البغوي الوسيلة القربة وقال
البيضاوي اي ما تتوسلون الى ثوابه والزلفى لديه من فعل الطاعات
وترك المعاصي وقال ابن كثير المعنى تقربوا اليه بطاعته والعمل
بما يرضيه قال وهذا اجماع من المفسرين وكذا قوله في الآية الاخرى
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب بالطاعة اي هؤلاء الآلهة
يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله سبحانه الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ونحو ذلك قال ابن كثير وقيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك
بطاعته وازدياد الخير وقول البغوي ينظرون ايهم اقرب الى
الله فيتوسلون به هذا لفظ البغوي لا ابن عباس وصل الناقل
في عزوه الى ابن عباس فان كان معنى هذه الكلمة كما قال البغوي
فالمراد بذلك ما كان يفعله الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته
من طلبهم دعاءه لهم واستسقاءهم به في احاديث كثيرة وما فعله
عمر بعد موته صلى الله عليه وسلم من استسقائه بالعباس في قوله انا
كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا
وكذلك فعل معاوية مع يزيد بن الاسود الجرشي لما استسقى قال
اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا يزيد بن الاسود يا يزيد ارفع
يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا فهذا من الوسيلة
قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله اما التوسل والتوجه الى
الله بالاعمال الصالحة التي امر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا الى الغار
باعمالهم الصالحة وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا
مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التي امر الله بها في قوله وابتغوا
اليه الوسيلة وقوله يبتغون الى ربهم الوسيلة فان ابتغاء الوسيلة

اليه

اليه هو طلب ما يتوسل به اي يتوصل اليه به سبحانه سواء كان على وجه
العبادة والطاعة وامتثال الامر او كان على وجه السؤال والاستعادة
به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ومن ذلك سؤاله باسمائه
وصفاته كقوله اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاكرام واستدل المعترض بقوله الله سبحانه
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال فقد اخبر ان
الله ملك المؤمنين الشفاعة فطلبها ممن يملكها بتمليك الله له لا مانع
منه كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله اياه ومراد المنادي له صلى الله
عليه وسلم والمتوسل به انما هو الشفاعة انتهى قوله ان الله ملك المؤمنين
الشفاعة كملك اهل الدنيا المال وغيره فحقيقة هذا القياس ان
الشفعاء يشفعون عنده بغير اذنه وفيمن لا يرضى ان يشفع فيه كما ان
اهل الدنيا يتصرفون فيما اعطاهم الله بغير اذنه سبحانه وقد يتصرفون
تصرفا لا يرضاه الله يتصرفون بحسب اختيارهم لا بامر الله لهم واذنه
فقد يعطون من لا يرضى الله اعطاءه ويمنعون من يحب الله اعطاءه
بل يعطون من نهى الله عن اعطائه ويمنعون من امر الله باعطائه
ويقربون اليهم من امر الله بابعاده ويبعدون من امر الله بتقريبه
وليس كذلك حال الشفعاء عند الله فنصوص القرآن صريحة
بانه لا يشفع عنده احد الا بوجود امرين اذنه للشافع ورضاه
عن المشفوع فيه فمتى فقد الامران او احدهما لم يوجد شفاعة
قال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه وقال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال تعالى يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقال تعالى ام اتخذوا
من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون

وقياس هذا اقبح من قياس المشركين بالشفعاء عند الملوك فالمشركون
جعلوا شفعاءهم بمنزلة خواص الملوك عند الملوك يشفعون عندهم
بغير اذنهم وفيمن لا يرضون وهذه هي الشفاعة الشركية التي نفاها
القرآن واما قياس هذا الجاهل الشفاعة بحال اهل الدنيا
ملكهم فيها فالذي يسأل اهل الدنيا يسألهم مما في ايديهم يقول اعطوني
مما في ايديكم لا يقول انهم يشفعون لي عند الله ولا يقول اشفعوا لي
فتبين بطلان قياس هذا وضلاله قال شيخ الاسلام تقي الدين رح
بعد كلام سبق وهذا كما نوافي الشفاعة على ثلاثة اقسام فالمشركون
اثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة المخلوق عند المخلوق كما
يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة المملوك الى ذلك فيسألونهم
بغير اذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين اثبتوا
مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله لا يشفع عنده
احد الا باذنه ولا يحتاج الى احد من خلقه بل من رحمته واحسانه
اجابة دعاء الشافع ولهذا قال ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
الى ان قال واما الخوارج والمعتزلة فانهم انكروا شفاعة نبينا
صلى الله عليه وسلم في اهل الكبائر من امته وهؤلاء مبتدعة ضلال
مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولاجماع خير
القرون القسم الثالث اهل السنة والجماعة وهم سلف الامة
وائمتها ومن تبعهم باحسان اثبتوا ما اثبته الله في كتابه وسنة رسوله
ونفوا ما نفاه فالشفاعة التي اثبتوها هي التي جاءت بها الاحاديث
واما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عكسه المشركون والنصارى
ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيها اهل العلم والايمان مثل
انهم يطلبون من الانبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم
ويقولون انهم ان اراد والله قضوها ويقولون انهم عند الله
كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم

على الملوك اذ لا يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء
الملك والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك انتهى وقوله ان الله
ملك المؤمنين الشفاعة مستند لا بقوله سبحانه لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يملك الذين يدعون من
دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون بناء على احد قولي
المفسرين ان الاستثناء في الآيتين متصل فاطلاق القول بان الله
ملك المؤمنين الشفاعة خطأ بل الشفاعة كلها لله وحده فلله
الشفاعة جميعا واثبت الشفاعة باذنه واخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان الانبياء يشفعون والصالحين يشفعون وعلى هذا فاخبر من
اذن الله له في الشفاعة يصح ان يقال انه ملك ما اذن له فيه فقط لا
ما لم يؤذن له فيه فهو تمليك معلق على الاذن والرضا لا تمليك مطلق
كما ينزعمه هذا الضال وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه
لا يشفع حتى يقال له ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وقال
الله سبحانه لنبيه واكرم الخلق عليه ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
لما قال صلى الله عليه وسلم في حق عمه لاستغفرن لك ما لم انه عنك
وقال في حق المنافقين استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقوله انه مراد المنادي له صلى الله
عليه وسلم والمتوسل به انما هو الشفاعة فقد تقدم جواب ذلك وهو
ان هذا مراد المشركين ممن قصدوه كما اخبر الله عنهم بذلك كقوله
عنهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
لم يقولوا ان احدا من الملائكة او المسيح او عزير او الجن يستقلون
بقضاء حوائجهم وانما يقولون انهم يشفعون لنا عند الله في قضاء
حوائجنا وقوله ان الصحابة كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم
ولم ينكر عليهم ولم يقل انتم اشركتم لانكم طلبتم مني قبل الاذن قال فدل

ان ذلك جايز في حياته و بعد موته لانه حي في قبره بالاتفاق قال وما
جاز ان يطلب منه في حياته جاز ان يطلب منه بعد الموت ومن منع
فعليه الدليل وعلى قولكم ان الطلب عبادة يقتضي الا فرق بين الحياة
والممات انتهى اما استدلاله بطلب الصحابة رضي الله عنهم منه في حياته
ان يدعو لهم ولم ينكر عليهم ولم يقل انتم اشركتم فهذا من المغالطة و
التدليس على الجهال يقول اذا انكرتم طلب الدعا منه بعد موته لزمكم
الا تجيزوا طلب الدعا منه في حياته واذا علمتم انه لا يشفع في الآخرة الا من
بعد اذن الله له لزمكم القول انه لا يدعو لاحد في الدنيا الا من بعد اذن
الله له في ذلك ويقول لما ثبت ان الصحابة يطلبون الدعا منه في حياته
فكذلك يجوز بعد موته ويقول اذا كان يدعو لهم بغير اذن الله
في ذلك جاز ان يشفع في الآخرة بغير اذن الله له هذا حقيقة كلامه
فيقال لهذا وهل يقول احد انه لا يجوز طلب الدعا منه صلى الله عليه وسلم
في حياته او من غيره فلا يقول هذا احد فقد كان اصحابه يطلبون
منه ان يدعو لهم ويستسقي لهم وينتصرهم ويستغفر لهم وامره
الله بذلك فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فدعاؤه صلى الله عليه وسلم لهم
من اعظم الوسايل الى مطلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لعمر لما استاذنه
في العمرة اشركنا يا اخي في دعايك ومازال المسلمون يطلب بعضهم
من بعض الدعا وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية وقوله ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم طلب الدعا منه ولم يقل انتم اشركتم لانكم
طلبتم مني قبل الاذن فهذا تهويل منه وتوهيم للطغام وهل يقول
هذا احد وانما الذي يتوقف على الاذن من الله سبحانه هو الشفاعة
في الآخرة حين يرجع الامر والملك لله الواحد القهار الذي لا يغلبه

شبكة الألوكة www.alukah.net

غالب ولا يقهره قاهر قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه يوم يقوم الروح
والملائكة صفا الآية والله سبحانه فرق بين احكام الدنيا والآخرة
فشرع لاهل الدنيا دعا بعضهم لبعض للاحياء والاموات وملكهم ما يتصرفون فيه فهم يتصرفون بحسب اختيارهم واما الآخرة
فاخبر سبحانه انه المتفرد بالملك والامر والتصرف في ذلك اليوم
فلا يصنع احد فيه شيئا ولا امر لغيره معه يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله ولا شفاعة الا من بعد اذنه ما من شفيع الا
من بعد اذنه فكلام هذا الضال يدور على التسوية بين احكام الدنيا
والآخرة وهذا من اعظم المحادة والمشاقة لله ولرسوله ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
الآية وقوله صلى الله عليه وسلم حي في قبره بالاتفاق حكاية الاتفاق
كذب منه وهو قد نقض حكاية الاتفاق بما ذكره بعد من الحكاية
المروية عن مالك وقوله لا يجعفر ان حرمته ميت كحرمته حيا
فوصفه مالك بالموت حال كلامه مع ابي جعفر فما ذكره عن مالك
يكذب دعواه الاتفاق وياتي في عبارته هذا وصف فيها النبي صلى الله
عليه وسلم بالموت الآن فهو متناقض وعبارته التي اشرنا اليها قوله
في الكلام على حديث يا عباد الله احبسوا فقال ولكون النبي صلى الله
عليه وسلم حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة
وهو قولنا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فقوله
حاضر مع موته وصف له بالموت الآن هذا مع انه لا يمكنه ان ياتي
بحرف واحد عن الائمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم كالائمة الاربعة
وامثالهم على حياته صلى الله عليه وسلم في قبره الحياة التي يشير اليها
قال ابن القيم لم يرد حديث صحيح انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره
لكن نقطع ان الانبياء لا سيما خاتمهم وافضلهم محمد صلوات الله وسلامه

عليه وعليهم اجمعين اعلى رتبة من الشهداء وقد قال سبحانه عن الشهداء
انهم احياء عند ربهم يرزقون فالانبياء اولى بذلك قال الله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية ومع ذلك فالشهداء
داخلون تحت قوله كل نفس ذائقة الموت انك ميت وانهم ميتون
فاثبت سبحانه لهم للشهداء موتا بعد خولهم في العموم كالانبياء وهو
الموت المشاهد ونفى عنهم موتا فالموت المثبت غير الموت المنفي
فالموت المثبت هو فراق الروح الجسد وهو مشاهد محسوس والمنفي
زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن انتهى وقال البيضاوي
على قوله سبحانه بل احياء عند ربهم ولكن لا تشعرون وفيه تنبيه على ان
حياتهم ليست في الجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات
وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي انتهى ومن العجب انه لو
جاء انسان الى ميت على وجه الارض شهيدا او غيره يطلب منه
ان يدعو له فضلا ان يطلب منه ان ينصره على عدوه او يكسوه
لقال الناس هذا مجنون فاذا صار رميما في بطن الارض زينوا لهم
الشيطان ودعاة الضلال من الانس الاستغاثة به وطلب الحاجات
منه والعامي السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته كما حكي لنا
ان رجلا من اهل مكة ينسب الى علم قال لرجل عامي من اهل نجد
انتم ما للاولياء عندكم قدر والله يقول في الشهداء انهم احياء عند
ربهم يرزقون قال له العامي هل قال يَرْزُقون يعني بفتح الياء
او قال يُرْزَقون يعني بالضم فان كان يعني بالفتح فانا اطلب منهم
فان كان يعني بالضم فانا اطلب من الذي يرزقهم فقال المكي
هجاجكم كثيرة وسكت ويقال لمن ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم
حي في قبره كحياته لما كان على وجه الارض ثبت انه صلى الله عليه وسلم
مات بنص القرآن فما حجتكم على انه عاد حيا كما كان على وجه الارض
قبل موته فلن يجد الى ذلك سبيلا وليس عندهم الا مجرد دعوى

او شبه

او شبه لا حقيقة لها ويدل على بطلان هذه الدعوى ما رواه ابو داود
عنه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام فهذا يدل على ان روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم
ليست في بدنه دائما وانما هي فيه على عليين ولها اتصال بالجسد
الله اعلم بحقيقته لا يدركه الحس ولا العقل وليس ذلك خاصا
به صلى الله عليه وسلم لحديث تقدم عنه صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يمر بقبر اخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله
عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفي صحيح مسلم عنه صلى الله
عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في رياض
الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل معلقة تحت العرش الحديث
وقد اخبر سبحانه انهم في البرزخ احياء عند ربهم يرزقون وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما الموتة
التي كتبت عليك فقد متها ولن يجمع الله عليك موتتين وبهذا قال
صلى الله عليه وسلم وقد قام الدليل القاطع انه عند النفخة في الصور
انه لا يبقى احد حي فلو كان الامر كما يزعمون لكان الله قد جمع عليه
موتتين ولما قال صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد
ارمت يعني بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء
ولم يقل لهم انا حي في قبري كما يأتي الآن صلوات الله وسلامه عليه دائما
الى يوم الدين قوله وما جاز ان يطلب منه في حياته جاز ان يطلب
منه بعد موته ومن منع فعليه الدليل ليس هذا خاصا به صلى الله عليه وسلم
عند هذا المعارض بل يزعم كما تقدم ان الله امر بطلب الحاجات
ممن يعتقد هذا بموتهم في قوله ان الله امر بالطلب من الاموات
والغايبين وادعى في موضع آخر حياتهم فهو متناقض كما ترى
قوله ومن منع فعليه الدليل فنقول جميع ما تقدم من الادلة

الدالة على ان دعاء الاموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك
الذي حرمه الله ورسوله يدخل في ذلك الملائكة والانبياء والصالحون
وغيرهم لان ذلك عبادة وهي محض حق الله لا يرضى ان يشرك
معه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل قال تعالى ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقال ولو
اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقال سيد ولد آدم لا تطروني
كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وقال ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله وقول
المعترض وما جاز ان يطلب منه في حياته جاز ان يطلب منه بعد
موته تقدم الجواب عنه عند قوله ان الشيء الواحد يكون بالنسبة
للحي طاعة وبالنسبة للميت عبادة الى آخره تقدم هناك ما فيه
كفاية لمن اراد الله هدايته وكلامنا في هذا الموضع في حق النبي صلى الله
عليه وسلم يحتاج الى زيادة بيان وايضاح فمن المعلوم بالضرورة
ان الصحابة كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم في حياته ان يدعو
لهم ويستغفر لهم ويستسقي لهم ويستفتونه ويطلب الناس منه عرض
الدنيا مما اعطاه الله ويرجعون اليه فيما اشكل عليهم من امر دينهم
وهذا كله معلوم بالضرورة واما بعد موته فلم يأت احد من اصحابه
الى قبره صلى الله عليه وسلم يطلب منه ان يدعو له فضلا ان يطلب منه
شيئا من عرض الدنيا او نصر على عدو ونحو ذلك ولا استفتاه احد
منهم فيما اشكل عليهم فاول ذلك لما اشكل عليهم هل يجردونه من
ثيابه عند غسله ام لا لم يسألوه وهو بين ايديهم ولما عزم الصديق
على قتال مانعي الزكاة وحصل عند عمر توقف في ذلك لم يأت الى قبره
يسأله عما استراب فيه ولما حضرت عمر الوفاة طلب من عائشة
ان يدفن مع صاحبيه ولم يقل استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك لعلمهم رضي الله عنهم ان هذه الامور مستحيلة منه بعد موته

شبكة الألوكة www.alukah.net

واستسقى عمر بالعباس ولم يأت هو والصحابة الى قبره يطلبون منه
ان يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته وحدث في المدينة حوادث
عظيمة كوقعة الحرة ولم يأت احد الى قبره ليستنصرهم فضلا ان
يطلبوا منه ان ينصرهم فلو كان هذا جائزا لاتوا الى قبره ذكرهم
وانثاهم لا سيما والمضطر يتشبث بادنى سبب يظن به النفع
وهذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله لو فعل لكنهم اعلم بالله و
رسوله من هؤلاء الخلوف وكان الناس يأتون الى عائشة يستفتونها
وهي في بيته صلى الله عليه وسلم عندهم يسمع كلامهم ويجيبهم لو سالوه
في نزعم هذا المبطل ولما وقع الاختلاف بين علي ومعاوية واشكل
امرها على كثير من الناس لم يأتوا الى قبره يستفتونه في هذا الامر
ليزيل الاشكال عنهم واشكل على الصحابة مسايل كثيرة يختلفون
فيها يوجد في المسئلة لهم قولان وثلاثة واربعة واكثر وقال عمر
ثلاث وددت اني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاين هذا
المفتري عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان يقول لهم
كيف تشكل عليكم المسايل وتختلفون وهذا نبيكم بين ظهرانيكم حي
ما عرفتم قدره هذه حقيقة دعوى هذا الملبس تخطئة اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتجهيلهم وكان ابن عمر يأتي القبر ويقول السلام
عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه ثم
ينصرف وحاك سلمة بن وردان رايت انس بن مالك يسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونقل
الايمة الاربعة على انه اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم واراد الدعا
انه يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر ومن المعلوم ان اعظم
مطلوب الامة منه صلى الله عليه وسلم اخذ العلم عنه ولم يقصد احد
منهم قبره صلى الله عليه وسلم لذلك فالتابعون اخذوا العلم عن
الصحابة وتابعوا التابعين اخذوا العلم عن التابعين وكذا كل

صلى الله عليه وسلم

طبقة يأخذون العلم عمن فوقهم والعلماء يرحلون الى الآفاق حجازا
وشاما ويمنا وعراقا لطلب الحديث بالاسانيد والوسايط الكثيرة تحملوا
المشاق العظيمة فلو كان ما يقوله هذا حقا من انه يطلب
منه صلى الله عليه وسلم بعد موته كلما يطلب منه في حياته لتراهم
عند قبره لاخذ العلم عنه على حقيقته ويتركون الوسايط وهذا
امر ظاهر الفساد لكن ربما يدخل كلام هذا في نفوس بعض الجهال
لظنهم ان عند هذا الرجل علما فيتهمون الفطرة التي فطروا عليها
حتى يبين لهم بطلانه وقوله فمن منع فعليه الدليل فاي دليل ابلغ
واوضح مما قررناه من ان الصحابة قبل موته صلى الله عليه وسلم يطلبون
منه جميع ما تقدم وانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم ما فعلوا معه
شيئا مما كانوا يفعلون معه في حياته من طلب الدعاء منه او الاستغاثة
او طلب حاجة من حوايجهم او نصره على عدو وكذلك التابعون
بعدهم فلا دليل اوضح من هذا على بطلان قوله انه يطلب منه بعد
موته جميع ما يطلب منه في حياته قال ابن القيم رح ولقد جرد
السلف التوحيد وحموا جانبه الى ان قال ومن المحال ان يكون دعاء
الموتى والدعاء بهم مشروعا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة
بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزق هذا الخلوف الذين يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه
الله وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة
والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشرا على وجه الارض ان ياتي عن
احد منهم بنقل صحيح او حسن او ضعيف او منقطع انهم اذا كان لهم حاجة
قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن ان يصلوا
عندها او يسالوا الله بها او يسالوهم حوايجهم فليوقفونا على اثر
واحد من ذلك بل يمكنهم ان ياتوا عن الخلوف الذين التي خلفت

بعدهم

بعدهم بكثير من ذلك وكلما تاخر الزمان وطال العهد كان ذلك اكثر حتى لقد
وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة حرف واحد من ذلك بل
فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الاحاديث المرفوعة واما
آثار الصحابة فاكثر من ان يحاط بها وقد ذكر جملة مما روي في ذلك
منها ما ذكر محمد بن اسحق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن
ابي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا ابو العالية قال لما فتحت تستر
وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه
مصحف فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا كعبا
فنسخه بالعربية فانا اول رجل من العرب قرأه مثل ما اقرأ القرآن
قلت لابي العالية ما كان فيه قال سيركم وامورکم وحلوكم كلامكم
وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا له ثلاثة
عشر قبرا فلما كان بالليل دفناه وسوينا جميع القبور كلها لنعميه
على الناس لا ينبشونه قلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا
حبست عنهم ابرزوا السرير فيمطرون فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاث
مائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال الا شعيرات من قفاه ان لحوم
الانبياء لا تبليها الارض ولا تاكلها السباع فمن هذه القصة
ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس
ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به هؤلاء المتاخرون
لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من
القبور اوثانا من لا يداني هذا ولا يقاربه واقاموا لها سدنة فلو
كان الدعاء عند القبور والصلوة عندها والتبرك بها فضيلة او سنة
او مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علما لذلك ودعوا
عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا اعلم بالله ورسوله ودينه

من الخلوف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا
على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند
قبر صاحب ولا دعا به ولا دعاه ولا دعا عنده او استسقى به ولا
استنصر به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على
نقله بل على نقل ما هو دونه وذكر ابن القيم ايضا ما رواه ابو داود
في سننه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا
بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
حيث كنتم وروى ابو يعلى عن علي بن الحسين انه راى رجلا يجيء الى فرجة
كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال الا
احدثكم حديثا سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغني اينما
كنتم رواه ابو محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختارته وروى
ابن منصور في سننه عن ابي سعيد مولى المهري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم
فان صلاتكم تبلغني وروى سعيد ايضا عن سهيل بن ابي سهيل قال
رآني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند القبر فناداني وهو في
بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لا اريده فقال مالي
اراك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت
المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا بيوتكم قبورا فما انتم ومن بالاندلس الا سواء قلت ورواه عبد الرزاق في كتابه عن
الحسن بن الحسن بن علي انه راى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا

على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني قال ابن القيم فهذان المرسلان من هذين
الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من ارسله
فهذا يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير
هذين الوجهين كيف وقد تقدم مسندا قال شيخ الاسلام قدس الله
روحه ووجه الدلالة منه ان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره اولى انتهى
فيما ذكرناه اوضح دليل وابين برهان على بطلان دعوى هذا
المفتري في قوله ان ما جاز ان يطلب منه في حياته جاز ان يطلب منه
بعد موته صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين وقوله بل
على قولكم ان الطلب نفسه عبادة يقتضي الافرق بين الحياة والممات
الى آخره فقد تقدم الجواب عن هذه الشبهة في كلامنا على قوله
فيما تقدم اذا كان النداء دعا لزم ان لا ينادي احد لاحي ولا ميت
وقوله هنا فعلى قولكم ان الطلب عبادة مقتضى كلامه ان الطلب
من حيث هو ليس بعبادة سواء كان الطلب من الله او من غيره فيقال
له ان زعمت ان الطلب من الله ليس بعبادة فهذا معلوم البطلان
كما قدمناه فيما تقدم وبينا دلايله ومن ذلك ان الله امر بدعائه واثنى
على من دعاه رغبا ورهبا فقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء عبادة
فقال ان الدعاء هو العبادة وقال الدعاء مخ العبادة وكلما امر الله به
امر ايجاب او استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء فمن قال ان دعاء
العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال بل كافر فان اقر انه عبادة ولابد ان يقر
الا ان يعاند ويكابر فاذا اقر ان دعاء العبد ربه كله عبادة فاذا
دعا ربه رغبا ورهبا فقد عبده فاذا دعا من لا يسمعه او لا يستجيب له
من ميت او غايب كان قد دعا من لا ينفعه ولا يضره ونصوص القرآن
صريحة في النهي عنه وذم من دعا من هذه صفته فيدخل في ذلك

الاموات والغايبون والجمادات لان كلا من هؤلاء لا يستجيب لداعيه فلا
ينفعه ان دعاه ولا يضره ان لم يدعه وتقدم حكاية الشيخ تقي الدين
اجماع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسايط يدعوهم
ويتوكل عليهم ويسالهم وتقدم ايضا قول الله سبحانه قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقول
المفسرين انها نزلت فيمن يعبد الملايكة والمسيح وامه وعزيرا والجن
وقول الشيخ تقي الدين ان الآية تعم من دعا الاموات والغايبين
فكل من دعا ميتا او غايبا فهو داخل في حكم هذه الآية وهذا
ظاهر لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والذين هم سبب
النزول غايبون وغايبهم اقرب من غايب الانس ومنهم الميت
كعزير وعيسى ومريم ويقال لهؤلاء الذين يدعون الاموات والغايبين
ادعوهم فيما يهمكم وينزل بكم من الشدايد فانهم لا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويله فكل من دعا من لا يملك كشف الضر ولا تحويله
داخل في عموم الآية واما طلب الانسان حاجته من حي حاضر
مايدخل تحت مقدور البشر فلم يمنع الله من ذلك كما قدمنا مع
ان ترك مسئلة الناس من تحقيق التوحيد وكماله فلو ان الله امرنا
بطلب حاجاتنا من الاموات والغايبين كما زعم هذا المفتري وفعلنا
ذلك امتثالا لامر الله كان ذلك عبادة منا لله لا لغيره كما ان الله سبحانه
لما امر الملايكة بالسجود لآدم وسجدوا كان ذلك عبادة لله لا لآدم
ولو امرنا الله بالسجود لنبينا وفعلنا كان ذلك عبادة منا لله لا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولو فعلنا ما نهانا الله عنه من السجود لغيره
كان ذلك عبادة للمسجود له واحتج المعارض بما رواه الترمذي
عن انس انه صلى الله طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يشفع له
وهذا لا ينكر كطلب اهل موقف القيمة من الرسل ان يشفعوا
لهم وانما ننكر الطلب منه بعد موته وننكر الشفاعة الشركية

التي اثبتها المشركون هذا بقوله ان الله ملك المؤمنين الشفاعة كما
ملك اهل الدنيا ما اعطاهم الله فيها فهم كما قد منا يتصرفون على حسب
اختيارهم وحقيقة تشبيهه ان المؤمنين يشفعون بحسب اختيارهم
من غير اذن من الله كحال اهل الدنيا فيما اعطاهم الله فهذه هي الشفاعة
التي ينكرها كما نفاها القران واستدل المعترض بحديث الاعمى ولا
حجة له فيه وليس فيه ما يوهم جواز دعائنا له والاستغاثة به وغاية
ما يفهم من حديث الاعمى التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم كما فهمه منه
ابن عبد السلام وقد بين شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله معنى
الحديث واوضحه غاية الايضاح ولفظه روى الحديث ان رجلا اعمى
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يكشف
عن بصري قال ان شئت دعوت لك وان شئت صبرت قال ادعه
فامره ان يتوضا ويصلي ركعتين ويقول اللهم اني اسالك واتوجه
اليك بنبيك محمد يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي
اللهم فشفعه في هذا لفظه وليس فيه حجة لهذا في جواز الاستغاثة
به صلى الله عليه وسلم فهو لم يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرد عليه
بصره وانما طلب منه ان يدعو الله له وليس في الحديث صراحة
لما فهمه ابن عبد السلام قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله بعد
كلام سبق ومن هذا استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم
القيمة يعني انهم يطلبون منه ان يشفع الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون
منه ان يدعو لهم في الاستسقاء وغيره وقول عمر انا كنا نتوسل
اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا معناه نتوسل
اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعائه و
سؤاله وشفاعته ليس المراد انا نقسم عليك به او ما يجري هذا
المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس اسالك
بجاه فلان عندك او يقولون انا نتوسل الى الله بانبيائه ورسله

شبكة الألوكة www.alukah.net

واولياءه ويدرون حديثا موضوعا اذا سالتم الله فاسألوه بجاهي
فان جاهي عند الله عظيم فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة
يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس
مع علمهم ان السؤال به والاقسام به اعظم من العباس فعلم ان ذلك
التوسل الذي ذكره عمر هو مما ينعل بالاحياء دون الاموات وهو
التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب
منه دعاء ولا غيره وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم
دعاء امره ان يسال الله به قبول شفاعته وان قوله اسالك واتوجه
اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا
نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد
ثم قال يا محمد اني اتوجه بك الى ربي لحاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في
فطلب منه ان يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله فهذا ونظائره
نداء يطلب منه استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب
كما يقول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان
يقول مثل هذا كثيرا يخاطب من تصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج
ممن يسمع الخطاب انتهى وقول المعترض ان ابن تيمية يقول ان
الاعمى صور صورة النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبه كما يخاطب الانسان
من تصوره في ذهنه ممن يحبه او يبغضه وان لم يكن حاضرا قال
وهذا عجيب من ابن تيمية فان نداء الصورة والطلب منها مع كونها
وهما خياليا اقوى في الحجة على المانع فهذا الحديث هو الدليل لمن
يجوز نداء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته والناظم ممن
يرى ذلك انتهى انظر كذب هذا على ابن تيمية بقوله ان ابن تيمية
يقول ان الاعمى صور صورة النبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا لفظ
ابن تيمية وانما قال رحمه الله فهذا ونحوه نداء يطلب به استحضار

المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كقول المصلي السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال والانسان يفعل مثل هذا
كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج ممن يسمع
الخطاب هذا لفظه على حديث الاعمى في اقتضاء الصراط المستقيم
وغيره هل قال ان الاعمى صور صورة النبي صلى الله عليه وسلم
وقول الشيخ بعد ذلك والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من
يتصوره في ذهنه اي من يستحضره في نفسه وقوله وهذا عجيب
من ابن تيمية فان نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهما خياليا
اقوى في الحجة على المانع فيقال وهل قال ابن تيمية انه يطلب من
الصورة شيئ ولم يذكر ابن تيمية لفظ الصورة وانما قال من يتصوره
اي يستحضره ثم ان المعارض بالكذب الصريح في قوله وذكر ابن
تيمية في معنى هذا الحديث قولين قولا يجوز التوسل به بمعنى طلب
دعائه في حياته وقولا بجواز ذلك في حياته وبعد مماته ومغيبه قال
وقد وافق ابن تيمية ابن عبد السلام بجواز الطلب والتوسل به
صلى الله عليه وسلم لحديث الاعمى فصار نداؤه والطلب منه محل اتفاق
انتهى ففي هذه الجملة من كلامه ثلاث كذبات الاولى قوله ان
ابن تيمية حكى قولا في معنى الحديث بجواز الطلب منه صلى الله عليه وسلم
في حياته وبعد مماته وحضوره ومغيبه الكذبة الثانية قوله ان
ابن تيمية وافق ابن عبد السلام بقوله ان ابن عبد السلام يقول
بجواز الطلب منه في حياته الحيوة والموت والكذبة الثالثة قوله
فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق وكذبة رابعة على ابن عبد
بقوله ان ابن عبد السلام يقول كذلك بجواز الطلب من النبي صلى الله
عليه وسلم والسؤال منه في الحياة والممات اما قوله ان ابن تيمية حكى قولا
في الحديث ان المراد طلب الدعا بجواز منه في الحياة والممات والحضور
والغيبة فهو كاذب على الشيخ والشيخ رحمه الله جزم بان معنى الحديث

ان الاعمى طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له وان ذلك مختص بالحياة
ممتنع بعد الموت كاستسقاء عمر بالعباس ثم ذكر قول ابن عبد السلام
انه فهم من حديث الاعمى التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يوافقه الشيخ على ذلك بل منع من التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم
وما جزم به الشيخ في معنى الحديث وما حكاه عن ابن عبد السلام
هما القولان اللذان ذكرهما في معنى الحديث حديث الاعمى لا كما زعم
هذا الكذاب ان القولين في طلب الدعاء منه وان احد القولين
اختصاص ذلك بالحياة والقول الثاني ان ذلك جايز في حياته
ومماته صلى الله عليه وسلم وان هذا قول ابن عبد السلام وان الشيخ
وافقه على ذلك فكذب على ابن عبد السلام وعلى الشيخ في زعمه
انهما اجازا طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم بعد موته ما اجرى هذا
على تعمد الكذب لانه يرى كلام الشيخ على هذا الحديث نفسه وانكاره
طلب الدعاء من الاموات لا سيما طلب ذلك منه صلى الله عليه وسلم
ويقول ان طلب الدعاء من الاموات شرك وكتابه في الرد على
ابن البكري الذي جوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم موجود
وكلامه على حديث استسقاء عمر بالعباس في ان طلب الدعاء
منه صلى الله عليه وسلم مختص بحياته وكلامه في هذه المسئلة
معروف مشهور موجود في كتبه فكيف يجترئ على الكذب الظاهر
قوله فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق كذب ظاهر وخطأ
فاحش اما اولا فانه لو يتفق ابن عبد السلام وابن تيمية على
قول واحد في مسئلة فانه لا يقال فيه انه اتفاق وانما يقال
هذا محل اتفاق فيما اجتمعت عليه علماء الامة الذين يعتد
بوفاقهم وخلافهم في الاحكام وهذا لم يذكر كلمة واحدة توافق
مذهبه عن صحابي ولا تابعي ولا عن امام من ائمة المسلمين
وانما حقيقة هذا الرجل كما قال بعض العلماء شرك مبني على الكذب

كذب

كذب على الله في قوله ان الله امر بالطلب من الاموات والغايبين
وان هذا من الوسيلة التي امر الله بها وكذب على النبي صلى الله عليه وسلم
في زعمه ان حديث الاعمى وغيره مما اورده يدل على ذلك وادعى
اتفاق العلماء على حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره وادعا على
ابن تيمية وابن عبد السلام انهما اجازا الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وان ذلك كله اتفاق وكذب في قوله ان في الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا
من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله وكذبه وتناقضه
ومعارضته للقرآن والحديث لا يخفى على عاقل منصف تنبهنا على
بعضه واحببت ان اذكر كلام الشيخ رحمه الله في مسئلة التوسل
وقول ابن عبد السلام قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في رده
على ابن البكري وما زلت ابحث واكشف ما امكنني من كلام السلف
والائمة والعلماء هل جوز احد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او
فعل ذلك احد منهم فما وجدته ثم وقفت على فتيا للفقيه ابن
عبد السلام افتى بانه لا يجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم
واما بالنبي صلى الله عليه وسلم فجوز التوسل به اذا صح الحديث الوارد
في ذلك وذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي
يوسف انهما قالا لا يسئل الله الا به انتهى وذكر ابن القيم في اغاثة
اللهفان عن ابي الحسين القدوري نحو ذلك فقال قال القدوري
قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة لا ينبغي
لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك
او يقول بحق فلان او بحق خلقك وهو قول ابي يوسف قال
ابو يوسف معاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره ذلك واكره
بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام
قال القدوري المسئلة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق

فلا تجوز يعني وفاقا وقال البلدجي في شرح المختار ته ويكره ان
يدعوا الله الا به فلا يقول اسالك بفلان او بملا يكتك او انبيا يك
ونحو ذلك لان لا حق للمخلوق على الخالق انتهى وهذه المسئلة
غير ما نحن فيه لكن ناسب ذكرها ذلك لمخالفته لما فهمه ابن
عبد السلام من حديث الاعمى وان الذي فهم ابن عبد السلام
انما هو التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعا لا دعاؤه نفسه
كما زعمه هذا المفتري واحتج المعترض بالحديث الذي رؤي
مرفوعا اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله
احبسوا فان لله حاضرا سيحبسه وزعم ان سنده صحيح وليس
كما ذكر من صحته لان في سنده معروف بن حسان وهو منكر
الحديث قاله ابن عدي وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا
المبطل على جواز دعاء الاموات والغايبين لانه قال فيه فان
لله حاضرا سيحبسه المعنى ان لله عبادا لا نعلمهم ومايعلم جنود
ربك الا هو قد وكلهم سبحانه بهذا الامر وهذا يدل على ان هؤلاء
الذين امر بمناداتهم حاضرون احيا جعل الله لهم قدرة على ذلك
فمناديهم ينادي من يسمع ويقدر على ذلك لقوله فان لله حاضرا
سيحبسه وهذا كما ينادي الانسان اصحابه الذين معه في السفر
ان يردوا عليه دابته اذا انفلتت وكل عاقل يتيقن ان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يامر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه
ومن استدل بذلك على جواز الاستغاثة بالاموات والغايبين
فهو ضال قال المعترض بعد ايراده هذا الحديث واما قول
من قال ان هذا ندا الحاضر كذبه ظاهر فان عباد الله المدعوين
وان كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء فهم
غايبون بالنسبة لمن يناديهم وكذلك الانبيا والصالحون من
اهل القبور فانهم في قبورهم وارواحهم موجودة وهذا امر

شبكة الألوكة www.alukah.net

النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادوهم ويخاطبوهم كمخاطبة الحاضر مع انهم
غايبون عن الاعين انتهى فالعجب من تناقض هذا يورد هذا
الحديث ونص الحديث فان الله حاضرا سيجيبه ثم يقول من قال
ان هذا نداء الحاضر كذب ظاهر يورد الحديث ثم يكذبه وقوله فان
عباد الله المدعوين وان كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله فهم غايبون
بالنسبة لمن ينادبهم فيا سبحان الله كيف يبلغ اتباع الهوى
بصاحبه الى هذا التناقض ومعارضته الاحاديث التي يحتج بها
فاذا اخبر الرسول انهم حاضرون قادرون بقوله فان الله حاضرا
سيجيبه فاخبار الرسول بحضورهم ابلغ من رؤيتنا لهم كما لو
كان الذي انفلتت دابته اعمى ويعلم عنده اناسا لا يراهم فانه يستعين
بهم لعلمه انهم يسمعون كلامه وان لم يكن يراهم قال المعترض في
كلامه على هذا الاثر ولكون النبي حاضرا مع موته شرع لنا خطابه
والسلام عليه في الصلاة فقوله مع موته اقرار منه بموته في قبره
الآن ثم كابر فادعى ان جميع الصالحين في قبورهم احياء وكذب في
هذه الدعوى والله سبحانه اخبرنا بحياة الشهداء في كتابه والانبياء
اوقع من الشهداء فهم اولى بذلك من الشهداء مع انه لم يأت حديث
صحيح بحياتهم وهذه حياة لا يعلم صفتها وحقيقتها الا الله لقوله
سبحانه بل احياء ولكن لا تشعرون واما قوله بحياة الصالحين
غير الانبياء والشهداء في قبورهم فكذب مفترى وقوله وهذا
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر
مع انهم غايبون عن الاعين فيقال لهذا المبطل الذي امر به النبي
صلى الله عليه وسلم امته وشرعه لهم عند زيارة القبور حجة عليك
كافية في ابطال مذهبك هل فيما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم حرف
واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثة بهم بل ليس فيها
ما يتضمن سؤالهم فليتامل طالب الحق جميع ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم

مما كانه يقول اذا زارها وما امر به امته عند زيارتها هل يجد فيها
حرفا واحدا مما يعتمده اهل الشرك والبدع ام يجدها مخالفة
لما هم عليه من جميع الوجوه فمضمون الزيارة التي شرعها صلى الله
وسلم تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه
والاستغفار له وسؤال العافية له فبدل هؤلاء المشركون قولا
غير الذي قيل لهم وغيروا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك
بالميت والاستغاثة به وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات
والنصر على الاعداء واستنزال البركات به وقوله وهذا امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر يعقل
له وهل في خطابهم لهم طلب حاجة منهم او طلب الدعاء منهم او
المخاطب الزائر المسلم هو الذي يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم
عليهم ويسأل الله لهم العافية فهل في ذلك الا ما هو حجة عليك
ثم يقال لهذا المتخرص هذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و
سنته مع الاموات في دعائه لهم في الصلاة على جنائزهم وعند دفنهم
وعند زيارتهم هل تجد فيها حرفا واحدا يوافق
مذهبك دعواك في طلب الحاجات من الاموات والغائبين ودعواك
ان الله امر بذلك بقوله وابتغوا اليه الوسيلة ان كان النبي صلى الله
عليه وسلم ما علم من معنى الوسيلة ما علمت انت انه علم ذلك ولم يدل
عليه بحرف واحد وكذلك اصحابه من بعده عند اتيانهم الى قبره
صلوات الله وسلامه عليه لا يزيدون على مجرد السلام عليه وعلى
صاحبيه كما تقدم عن ابن عمر وانس وغيرهما وما تقدم عن
اهل بيته صلى الله عليه وسلم من انكار علي بن الحسين زين العابدين
على الذي يدعون الله عند قبره صلى الله عليه وسلم وقول الحسن
بن علي بن ابي طالب للذي قال سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له اذا دخلت المسجد فسلم وفي رواية فنهاه واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم

لا تتخذوا

لا تتخذوا بيتي عيدا الحديث وتقدم ان خفي على هؤلاء السادة ما
فهمه هذا واشباهه من قوله صلى الله قول الله تعالى وابتغوا اليه
الوسيلة وما فهمه من حديث الاعمى وغيره ولكن بهذا ونحوه
يظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم
وقد اخبر الله سبحانه عن اهل الكتاب قبلنا بالغلو والكذب
وتحريف الكلم عن مواضعه وما ذكره المعترض عن عتبة بن
غزوان فهو مثل الذي قبله كقوله فيه فان لله عبادا لا يراهم
ولفظه اذا ضل احدكم شيئا واراد عونا وهو بارض فلاة ليس
بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني فان لله عبادا لا يراهم قال
المعترض فهب ان عباد الله المدعوين حاضرون كما قال ولكنهم
لكنهم اذا لم يرهم الداعي لهم كيف يهتدي الداعي الى الطريق
وهو لا يرهم فيقال قولك هذا اعتراض على ما استدللت به
ونقول له قد تحصل الهداية باشارة او علامة ترفع له او يكون
من جنس الملائكة الذين يلقون في قلب ابن آدم فكل هذا جائز
ان صح الاثر فانظر تسميته النداء دعاء في ثلاث مواطن من هذا
الموضع المحل وهو يقول ان طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى
دعاء بل نداء فتناقض وهذا من سنة الله سبحانه في المبطل انه
يتناقض واحتج ايضا بما روي ان رجلا جاء الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فشكى اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره ان يأتي
عمر فيأمره ان يخرج فيستسقي بالناس هذا لفظه فيا قتضاء
الصراط المستقيم قال الشيخ ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون
النبي صلى الله عليه وسلم واعرف من هذا وقايع قال وليس هو مما
نحن فيه قال وهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر
اما انه يدل على حسن حال السايل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى
وهذه الحكاية التي احتج بها هذا المبطل هي حجة عليه في قوله ان ما جاء

ان يطلب منه في الحياة جاز ان يطلب منه بعد الممات وهو صلى الله عليه وسلم
لما كان حيا معهم على وجه الارض اذا طلبوا منه ان يستسقي لهم
يستسقي بنفسه لا يقول اذهبوا الى فلان ليستسقي لكم كما تكلم في
هذه الحكاية لم يقل انا استسقي لكم بل امر عمر يخرج بالناس
يستسقي لهم فدل ان هذا متعذر منه بعد موته صلى الله عليه وسلم
والصحابة خرجوا الى الصحرا مع عمر واستسقوا ولم يأتوا الى قبره
يطلبون منه ان يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته بل ولا
جاؤا يستسقون عند قبره وقوله ان صاحب هذه الحكاية
صحابي اعلم من سائر المسلمين فقوله هذا كذب ظاهر وهل
يعرف اسمه حتى يعرف حاله والمدينة في ذلك الزمان يردها
اخلاط من العرب والعجم والبادية والحاضرة ولا يسمى صاحب
هذه الشكوى ولا يدري من هو فكيف يزكيه هذه التزكية
البالغة وهو لا يعرفه فالشيخ يقول ومثل هذا اذا وقع لا يدل
على حسن حال السائل وقوله ان ابن تيمية ذكر هذه الحكاية
وانه قال وهذا حق ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي
صلى الله عليه وسلم والشيخ ذكر جملة من هذا النوع ثم قال وهذا
حق يعني وقوع مثل هذا ثابت ليس مراده انه صواب كما زعمه
هذا والشيخ رحمه الله لما قرر ان الدعا عند القبور بدعة يعني
قصدها لاجل دعاء الله عندها وان ذلك منهي عنه وقرر ان
دعاء الاموات المقبورين وسؤالهم قضاء الحاجات شرك قال
ولا يدخل في هذا ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى الله
عليه وسلم او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان
يسمع الاذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك الى ان قال رحمه الله
فان الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد
استهانة باهلها بل لما يخاف عليهم من الفتنة وانما تكون الفتنة

اذا انعقد سببها فلولا انه يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما
نهي الناس عن ذلك وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات
التي توجد عند قبور الانبياء والصالحين مثل نزول الانوار والملائكة
عندها وتوفي الشياطين والبهائم لها وانتفاع النار عنها وعمن
جاورها الى ان قال فجنس هذا حق وليس مما نحن فيه الى ان قال
وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة عندها ولا قصد الدعا
والنسك عندها لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي
علمها الشارع كما تقدم قال فذكرت هذه الامور لانها مما يتوهم
معارضتها لما ذكرنا وليس كذلك واحتج المعترض بالحكاية التي
ذكرها القاضي عياض في الشفاء ان الامام مالكا تناظر مع ابي
جعفر المنصور فقال مالك يا امير المؤمنين ان الله ادب اقواما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة
ابيك آدم بل استقبله وتشفع به ثم قرأ ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية ولما ذكر شيخ
الاسلام تقي الدين رحمه الله اشياء ذكرها عن السلف عامة وعن
مالك خاصة قال وهذا الذي ذكرنا عن السلف ومالك يبين
حقيقة الحكاية المأثورة عنه التي ذكرها القاضي عن محمد بن حميد
قال ناظر ابو جعفر بخره قال فهذه الحكاية على هذا الوجه اما
ان تكون ضعيفة او مغيرة واما ان تفسر بما هو وفق مذهبه
اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من
اصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعا

وقد نص انه لا يقف عنده للدعاء مطلقا الى ان قال واما الحكاية
في تلاوة مالك هذه الآية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية فهو والله
اعلم باطل فان هذا لم يذكره احد من الائمة فيما اعلم ولم يذكر
عن احد منهم انه استحب ان يسئل بعد الموت الا استغفار ولا
غيره وكلامه المنصوص عنه وعن امثاله بنا في ذلك وانما
يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها بعض المتاخرين من الفقهاء
عن اعرابي انه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية
وانشد ○ ياخير من دفنت بالقاع اعظمه ○ فطاب من طيبهن
القاع والاكم ○ نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ○ فيه العفاف وفيه
الجود والكرم ○ وهذا استحب طائفة من متاخري الفقهاء
من اصحاب الشافعي واحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية
التي لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما مثل هذا الامر العظيم الذي
لو كان مشروعا منذ وبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به واعمل
به من غيرهم بل قضاء الله حاجة هذا الاعرابي وامثاله له اسباب
قد بسطت في غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته
بسبب يقتضي ان يكون ذلك السبب مشروعا مامورا به فقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يسئل في حياته المسئلة فيعطيها لا يريد
سائلا وتكون المسئلة محرمة في حق السائل حتى قال اني لاعطي
احدهم المسئلة فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله فلم
تعطيهم قال يأبون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل قال وقد
يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهي
عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب
واسع قوله رحمه الله في اول كلامه وهذا الذي ذكرناه عن مالك
والسلف يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه فالكلام الذي
اشار اليه قوله قبل ذلك واتفق الائمة على انه اذا دعا بمسجد

النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره و تنازعوا عند السلام عليه
فقال مالك واحمد وغيرهما انه يستقبل قبره ويسلم عليه وهو
الذي ذكره اصحاب الشافعي واظنه منصوصا عنه وقال ابو حنيفة
بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب اصحابه و قال مالك
فيما ذكره اسمعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهما
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو و لكنه
يسلم و يمضي وقال ايضا في المبسوط لا باس لمن قدم من سفر
او خرج ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابي بكر
وعمر فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا
يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة واكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغنا هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن
اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره
الا لمن جاء من سفر اوارادة ثم قال الشيخ فقول مالك في هذه
الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت عليه
وسالت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيمة فان الامم يوم
القيمة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو
فعل ما يشفع له به يوم القيمة كسؤال الله له الوسيلة وكذلك
ما نقل من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فدعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم
يعني دعا للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع
هناك كالدعاء عند زيارة قبور المسلمين وهو الدعاء لهم فانه
احق الناس ان يصلى عليه ويدعى له بابي هو وامي صلوات الله
وسلامه عليه وبهذا تتفق اقوال مالك ويفرق بين الدعاء الذي
احبه والدعاء الذي كرهه و ذكر انه بدعة انتهى ويشهد لذلك

ما رواه عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن ايوب عن نافع قال كان
ابن عمر اذا قدم من سفر اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه
قال معمر واخبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال
معمر فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال ما نعلم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر وقال الحافظ محمد بن
احمد بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي
محمد بن حميد الرازي هذه الحكاية اعني حكاية ابي جعفر مع الامام
مالك هو محمد بن حميد الرازي لا المعمري كما ظنه السبكي قال
وتكلم في محمد بن حميد هذا غير واحد من الايمة ونسبه بعضهم
الى الكذب قال يعقوب بن شيبة محمد بن حميد الرازي كثير
المناكير وقال البخاري حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة
وقال ابو العباس محمد بن احمد الازدي سمعت اسحاق بن منصور
يقول اشهد على محمد بن حميد الرازي وعبيد بن اسحق العطار
بين يدي الله انهما كذابان وذكر جماعة كثيرة نحو ذلك فهذا
يبين عدم صحة ذلك هذه الحكاية والله اعلم وذكر المعترض
ما روي ان اعرابيا جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة
ايام من دفنه صلى الله عليه وسلم ورمى بنفسه وقال يا رسول الله
قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما
انزل الله عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الاية وقد
جئتك مستغفرا لذنبي فنودي من القبر غفر لك فيا سبحان
الله يعتمد على حكاية عن اعرابي بغير اسناد في هذا الامر
الذي لو كان مستحبا وجائزا لفعلما الصحابة والتابعون ولو
كانوا يفعلون شيئا من ذلك لنقل عنهم لا عن اعرابي وغيره
ممن لا تعرف حاله فلو وجد الناقل لهذه الحكاية شيئا من

ذلك

ذلك عن احد من الصحابة وعلماء التابعين لكان اولى مما نقله
عمن لا يعرف بصحبة ولا علم وايضا فهذه حكايات بغير اسناد
معروف بحيث لو بين كرعن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث بغير اسناد
معروف رجاله لم يلتفت اليها مع انه ليس في هذه الحكاية ونحوها
انه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يغفر له او يدعو الله له
قال المعترض ويعضد هذا الاثر المتقدم الذي تلقاه الائمة
بالقبول بل استدل به يعني اثر العتبي حتى ابن تيمية مع انه شدد
في ذلك فكذب على ابن تيمية في قوله انه تلقاه بالقبول بل ابن
تيمية خطئ من احتج بحكاية العتبي كما قدمنا عنه وما روي من
قول سواد بن قارب فكنت لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغن
بمغن فتيلا عن سواد بن قارب فهذا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
في حياته كما تقدم من حديث انس وكاستشفاع الناس به
يوم القيمة وقوله ادنى المرسلين وسيلة فهو كذلك صلى الله
عليه وسلم لان الوسيلة هي القربة والتوسل الى الله التقرب اليه
بطاعته واتباع رسوله والاقتداء به وهذا هو الوسيلة المامور
بها في قوله سبحانه وابتغوا اليه الوسيلة ومن الوسيلة دعاؤه
صلى الله عليه وسلم لهم وطلبهم ذلك منه في حياته كما كانوا يطلبون
منه ان يدعو لهم ويستسقي لهم كقول عمر اللهم كنا نتوسل
اليك بنبينا فتسقينا الحديث فهذا من الوسيلة المامور بها
واحتج المعترض بما روي انه قيل لابن عمر حين خدرت رجله
اذكر احب الناس اليك وان ابن عباس قاله آخر فقال احدهما
محمد وقال الآخر يا محمد وليس له في هذا حجة على طلب الحاجات
والغائبين والقابل لم يقل ادع احب الناس اليك والمقول له
لم يقل يا محمد ان رجلي خدرت فلعل المعنى في ذلك
انه توسل الى الله بمحبة نبيه واحدهما لم يات بحرف النداء وذكرها

احدهما فلعل هذا مثل قولنا السلام عليك ايها النبي السلام
عليك يا رسول الله وخدر الرجل من نوع الضر والمحتج بذلك
يحتج به على جواز طلب كشف الضر من النبي صلى الله عليه وسلم وغيره
وقد قال الله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر
على كشف ضر نزل بكم ولا جلب خير اليكم اي ان الله يملك ذلك
لا انا وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا وقد ذكرنا فيما تقدم ان مفسري الصحابة
والتابعين ذكروا ان الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح
وامه وعزيرا والجن والآية تعم كل مدعو من دون الله فاذا
كان الملائكة الذين يكونون وسايط فيما يقدره الله بافعالهم
لا يملكون كشف الضر عنكم عمن دعاهم ولا تحويله من حال الى
حال فغيرهم اولى فاذا كان هؤلاء المذكورون لا يستجيبون
لمن دعاهم فهم داخلون تحت قوله تعالى ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له الاية وغيرها من الآيات فكيف
تعارض نصوص القرآن بمثل ذلك ومضمون دعوى المحتج بذلك
ان الشفا يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وكان في رقية النبي للمريض
اشف انت الشافي لا شافي الا انت فالمحتج بهذا الاثر على ما ادعاه
معارض لنصوص القرآن والسنة مكذب لله ورسوله فيما ذكرنا
من الآيات والحديث ولو قال من خدرت رجله اعوذ برسول الله
من شر ما اجد صار مستعيذا بمخلوق ونص العلماء ان الاستعاذة
لا تجوز بمخلوق والاستغاثة نوع من الدعا كما تقدم تقريره
فلو قال من اصابه ما يكره اعوذ بمحمد مما اجد او اسأله كشف
ما اجد او اشكو اليه ما اجد كان المعنى في جميع هذه العبارات
واحدا اذا المعنى اطلب ازالة ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
وابن القيم ذكر هذا الاثر فلو كان فيه شبهة تعارض ما كان

يقرره

يقدره من ان دعآ غير الله والاستغاثة به شرك لبينا ذلك واثبت
من جملة فتاوي للقاضي ابي يعلى منها انه سئل عمن يقول يا محمد
يا علي فقال هذا لا يجوز لانهما ميتان وقول المعترض اولا ليس
ابن تيمية قد عذر المتاول والمقلد وقال انه يغفر للجاهل ما لا
يغفر لغيره فيقال لهذا انما يرد كلام الشيخ هذا من يوافق
الشيخ على تحريم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من
الاموات وان ذلك شرك ثم يقول لعله يغفر للجاهل ونحوه
واما من ينكر قول الشيخ في ذلك من قائل ويبدع من قال بقوله
او يكفره فلا يتوجه له القول بعذر المذكورين لانه يقول
انهم غير مخطئين بل ماجورين لاجتهادهم لامر الله في قوله وابتغوا
اليه الوسيلة في زعم هذا المحرف لكلام الله فلا وجه لطلب العذر
لهم وما قاله الشيخ في هذا الباب اعني باب التوحيد ليس باجتهاد
منه لكنه بين ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة واجماع العلما
فرحمه الله ورضي عنه والشيخ قال وقد يفعل الرجل العمل الذي
يعتقده صالحا ولا يكون يعلم انه منهي عنه فيثاب على حسن قصده
ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع قال ويغفر للجاهل ما
لا يغفر لغيره مراده في الجملة لا في التفصيل ولهذا قال رحمه الله
في شرح العمدة في اثناء كلام سبق فكل رد لخبر الله او امره فهو
كفر دق وجل لكن يعفى عما قد خفيت فيه طرق العلم وكان
امرا يسيرا في الفروع بخلاف ما ظهر امره وكان من دعايم الدين
من الاخبار والاوامر وقد قال رحمه الله ان الشرك لا يغفر
ولو كان اصغر ونقل ذلك عنه تلميذه صاحب الفروع وغيره
قال ذلك والله اعلم لعموم قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
وقال في الرسالة اليسنية فكل من غلا في نبي او رجل صالح و
جعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يدعوه من دون الله بان يقول

هذا
يا سيدي فلان اغثني او اجبرني او توكلت عليك او انا في حسبك فكل
شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل وكذلك قال في مسئلة
الوسايط ان فاعل ذلك يستتاب فان تاب والا قتل وعموم قوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به يتناول كل مشرك والفقهاء من جميع
المذاهب يذكرون في باب حكم المرتد ان من اشرك بالله كفر ويحتجون
بهذه الآية ونحوها ولم يخرجوا الجاهل من العموم وقال الله تعالى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية وقال فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
ويحسبون انهم مهتدون قال ابن جرير وهذا من ابين الادلة
على خطأ من زعم ان الله لا يعذب احدا على معصية ركبها او ضلالة
اعتقدها الا ان يأتيها بعلم منه لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق
الضلالة الذي ضل وهو يحسب انه مهتد وفريق الهدى فرق
وقد فرق الله بينهما باسمائهما واحكامهما في هذه الآية انتهى وليس
كلامنا في هذا الموضع في هذه المسئلة وانما الكلام مع هؤلاء
الضلال الدعاة الى الشرك الملبسين على الناس دينهم المفترين
على الله الكذب المضلين للناس بغير علم وذكر المعترض انا في تاريخ
ابن كثير ان الصحابة كان شعارهم في الحرب يا محمد وفي تاريخ آخر
ان بعض المسلمين من التابعين اسرهم الكفار والقوهم في القدور
فنادوا يا محمداه وان خبيبا رضي المعتل به الكفار قال يا محمد فهذه
هي واشباهها حجة هذا المبطل وشيعته وهذه التواريخ
واشباهها فيها الصدق والكذب واكثرها يحكى بغير اسناد
ولو كان ما ذكر في هذه التواريخ ونحوها حديثا عن النبي صلى الله
عليه وسلم بغير سند متصل صحيح لم يحكم به في فلس والحكاية الاولى
ان هذا كان شعارهم في الحرب لم يقل انهم كانوا يستغيثون به
في الحرب ولا انهم ينادونه بل قال هذا شعارهم في الحرب فلا شبهة

لكن

لكن فيه لانهم كانوا يستعملون الشعار في الحرب باسم او كلمة ليعرف
بعضهم بعضا كما روي ان شعارهم في بعض غزواتهم حم لا ينصرون
وفي بعضها امت امت وما ذكر عن الذين كانوا في زمن التابعين
انهم قالوا يا محمد حكاية بغير اسناد عمن لم يعرف من هم
وما حكي ان خبيبا قال يا محمد ان صح فهذا ونحوه يقوله الانسان
توجعا لفراق حبيبه ولا يشك عاقل ان خبيبا واشباهه لا
يستغيثون بالنبي في تلك الحال وهو لا يسمع كلامه كيف وقد قال
لهم صلى الله عليه وسلم لما استغاثوا به على رجل عنده في المدينة
قال انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل ولكن
صاحب الباطل يروج على الناس ويلبس عليهم بكل ما يقدر
عليه ولولا اتباع الهوى ما عارض بحكاية عن اعرابي او عن
تاريخ لا يعرف غثه من سمينه مع انه ليس له فيما يحكيه حجة على
باطله ومع ذلك يعارض به نصوص القرآن كقوله تعالى ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة الآية قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الآية فاذا
كان الملائكة المقربون لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله
فنبينا صلى الله عليه وسلم كذلك لا يملك كشف الضر عمن دعاه ولا
تحويله فلو كان يملك شيئا من ذلك لطلب اصحابه الذين هم اعلم
الناس بالله وبرسوله وبدينه ذلك منه مع ان عموم هذه الآيات
وغيرها تتناوله كغيره لا يشك في هذا عاقل سليم الفطرة فضلا
عن العالم المنصف هذا مع قوله سبحانه في حق نبينا خاصة ما ذكره
في كتابه كقوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله الآية
وقوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر على كشف ضر
نزل بكم ولا ايصال نفع اليكم اي لا يملك ذلك الا الله فمن زعم ان

غير الله يطلب منه ذلك فهو مكذب لله وجاعل له شريكا في ذلك تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال المعترض فدل على
ان نداء النبي صلى الله عليه وسلم في الشدائد امر معهود يعني الاستغاثة
به وانما عيب بالنداء طردا لقوله الباطل المتناقض ان طلب المخلوق
من المخلوق يسمى نداء لا دعاء وقد بينا بطلان قوله هذا ومخالفته
للكتاب والسنة واجماع العلماء والنحويين وان الدعاء بطلب رفع
المكروه او دفعه يسمى استغاثة كما يسمى دعاء فلما قال ان نداء
النبي صلى الله عليه وسلم في الشدائد امر معهود يعني انه يطلب منه
صلى الله عليه وسلم كشف الشدائد فهذا حقيقة الاستغاثة
فليسمه المبطل كما شاء نداء او طلبا او توسلا او تشفعا او ما شاء
من الاسماء فان ذلك لا ينفعه ولا يغير الحكم فهذا الضال
يزعم ان الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في الشدائد بعد موته
امر معهود اي معروف مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين
فجعل هذا الصحابة والتابعين اشد غلوا في النبي صلى الله عليه وسلم
من المشركين الاولين في الملائكة والانبياء والجن والاصنام
لان الله سبحانه اخبر في كتابه ان المشركين يخلصون الدعاء لله تعالى
في حال الشدة وينسون آلهتهم من الملائكة والانبياء والجن و
الاصنام قال سبحانه واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا
اياه وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير
الله تدعون ان كنتم صادقين الآية وقال فاذا مس الناس ضر
دعوا ربهم منيبين اليه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او
قاعدا او قائما وقول هذا الرجل فيما تقدم ان الله امر بالطلب
من الاموات والغائبين عام في الاوقات والاحوال والاشخاص
فيا لله للعقول ضلت حيث لم يتبين لها ضلال هذا في غالب كلامه

وخاصة

وخاصة في قوله ان الله امر بطلب الحاجات من الاموات والغايبين
فكما قد مناه اذا كان الله يحب ذلك لامره به في زعم هذا الضال
فالاولى ملازمة ذلك في الشدايد والرخا محافظة على ما يحبه الله ١٥٥
في جميع الحالات والموحدون يقولون الواجب على الناس اخلاص
الدعا لله وحده في الرخا والشدة فلا يسئل الا هو وحده ولا
تطلب الحاجات الا منه ولا يرغب الا اليه وحده والمشركون
الذين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يخلصون الدعا لله وحده في
الشدة وينسون آلهتهم وتصوص القران ناطقة بذلك وهذا
الملحد يقول الاستمرار على الطلب من الاموات والغايبين في جميع
الحالات اولى لان الله يحب ذلك لانه من الوسيلة التي امر بها
فالمحافظة على ما يحبه الله اولى من الغفلة عما يحبه سبحانه فيا
سبحان الله كيف يلتبس امر هذا على عاقل سليم الفطرة وما
ذكره من قول صفية الا يا رسول الله كنت رجانا فهذه حال
من يبكي شخصا ويريه يخاطبه مخاطبة الحاضر وتذكر حاله صلى الله
عليه وسلم معهم لانه القايم بامورهم فهو ابو هم خاصة وابو المؤمنين بالمؤمنين من حيث
عامة النبي اولى بانفسهم صلوات الله وسلامه عليه دايما الى يوم
الدين وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد ابلغ حماية
حتى قال لا تجعلوا قبري عيدا وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء
محمد بل ما شاء الله ثم شاء محمد وقال للذي قال ما شاء الله وشئت
اجعلتني لله ندا فوازن بين قوله لمن قال ما شاء الله وشئت جعلتني
لله ندا وبين قول هذا الضال انه يستغاث به في الشدايد اليس
هذا اولى بان يقال له اجعلتني لله ندا وقد قال الله تعالى ممن يجيب
المضطر اذا دعاه الا به اي اله مع الله يفعل هذا والذي يقول انه
يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم في الشدايد بقوله ان نداء النبي صلى الله
عليه وسلم امر معهود يقول انه يجيب المضطر ويكشف السوء الا وهم

كانت الاستغاثة به عبثا باطلا والمشركون يعتقدون بانه لا ينجي
من الشدايد والضرورات الا الله وطهذا يخلصون الدعا لله في
هذه الاحوال لعلمهم انه لا ينجي منها الا الله قال الله تعالى واذا
غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين قال البيضاوي
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد وقال ايضا على قوله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين في صورة
من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو سبحانه انتهى وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لحصين بن المنذر كم الهتك قال سبعة ستة
في الارض وواحد في السما قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك
قال الذي في السما ولما اقبل ابرهة على مكة وهرب اهلها منها خوفا
منه قام عبد المطلب ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه
على ابرهة واخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول
يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماك ان عدو البيت من
عاداك فامنعهم ان يخربوا قراك واخبار الله عنهم بالاخلاص
في الكرب والشدايد كاف فيا سبحان الله هؤلا المشركون الذين
نزل القران بتكفيرهم واباحة دمائهم واموالهم للمسلمين يعلمون
بقلوبهم ويقرون بالسنتهم بانه لا يكشف الشدايد الا الله ويفزعون
فيما يهمهم الى الله وحده ويتركون الوسايط الذين اتخذوهم
شفعاء لهم عند الله قال الله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
او اتتكم الساعة الآيتين وهذا الرجل الذي يسمي عالما يقول انه
يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم كشف الشدايد وانه يكشفها فلو لا انه
يقول انه يكشفها لم يجز طلب كشفها منه وكان طلب ذلك منه عنا
بلا فايدة ثم زعم ان الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم في الشدايد

امر

امر معهود مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين فنسب الى
خير القرون ما هم ابعد الناس عنه ويكفي في ابطال شبههم كلها
قول الله سبحانه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله قل
اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا وهذا في حال حياته صلى الله عليه وسلم
فكيف الحال بعد الموت وهذا ايضا لم يقتصر على النبي صلى الله عليه وسلم
كما قرر في اوراقه هذه ان الله امر بطلب الحوائج من الاموات
وانهم احياء في قبورهم مع ما ضم الى ذلك من دعواه اثبات التصرف
المطلق للنبي وغيره في يوم القيمة ودعواه علم الغيب للنبي صلى الله
عليه وسلم وما تضمنه كلامه من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى
العلماء كما بينا بعض ذلك فيما تقدم وكذا ما في كلامه من التناقض
والمعارضة الصريحة لكلام الله ورسوله ثم العجب ممن تلقى
كلامه بالقبول ولم ير ما بعضه ما فيه من الفضائح التي ينكرها العامي
سليم الفطرة ولكن الامر كما قيل باطل وافق هوى والهوى يعمي
ويصم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ولنختم الكلام هذا الجواب بتلخيص
فصل من اغاثة اللهفان لشمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى قال
بعد كلام سبق ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القبور وما امر به وما نهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما
عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضادا للآخر مناقضا له
بحيث لا يجتمعان ابدا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد
وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة
لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف
على ايقاد القناديل عليها ونهى ان تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها
اعيادا ويجتمعون اياما كاجتماعهم للعيد او اكثر وامر بتسويتها

كما روى مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الاسدي قال قال علي بن
ابي طالب الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا ادع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفي
صحيحه عن ثمامة بن شفي قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض
الروم بذودس فتوفي صاحب لنا فامر فضالة بقبره
فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها
وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها
من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص
القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها
كما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى ان تجصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذي
حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون
عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى
ابو داود من حديث جابر ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى ان يجصص القبر ويكتب عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون
عليه سوى التراب الآجر والاحجار والجص الى ان قال فانظر
الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء
وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفاسد ما يعجز العد عن
حصره فمنها تعظيمها الموقع في الافتتان بها من العكوف عليها
والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها وعبادتها ويرجو المجاورة عندها وتعليق الستور على المجاورة
عند البيت الحرام وبين وسدانتها افضل من خدمة المسجد
والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها
ومنها النذر لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها

يكشف

يكشف البلا وينصر على الاعدآ ويستنزل غيث السمآ وتفرج الكربات
وتقضى الحوايج وينصر المظلوم ويجار الخايف الى غير ذلك ومنها
الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج
ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ومنها ايذآء احيآئها
بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم
ويكرهونه غاية الكراهة ومنها مشابهة المشركين اليهود
والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها ومنها محادة الله
ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ومنها اماتة السنن واحيآء
البدع ومنها ان الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور
بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون
الزاير محسنا الى نفسه والى الميت فقلبوه هؤلآء المشركون الامور
وعكسوا الدين وجعلوا المقصود من الزيارة الشرك بالميت و
دعآئه والدعآء به وسؤاله حوايجهم واستنزال البركات منه
ونصرهم على الاعدا وتجريد لك فصاروا مسيئين الى نفوسهم
والى الميت فاسمع الآن زيارة اهل الايمان التي شرعها
الله على لسان رسوله ثم وازن بينها وبين زيارة اهل الشرك
التي شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك قالت عايشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلتي منه يخرج من آخر
الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين واتاكم
ما توعدون غدا مؤجلون وانا انشآء الله بكم لاحقون اللهم
اغفر لاهل بقيع الغرقد رواه مسلم في صحيحه وعنها ايضا ان
جبريل اتاه وقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر
لهم قالت قلت كيف اقول يا رسول الله قال قولي السلام على
اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين

منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم للاحقون وفي صحيحه ايضا
عن سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام على اهل الديار
وفي لفظ السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين
وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسال الله لنا ولكم العافية وعن
بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فمن زارها فليزر ولا تقولوا هجرا رواه الامام احمد
والنسائي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال
عن زيارة القبور سدا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم
اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم ان يقولوا
هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله
فان زيارته غير ماذون فيها ومن اعظم الهجر الشرك عندها
قولا وفعلا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن علي بن ابي طالب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها فانها تذكر الآخرة رواه احمد وعن ابن عباس
قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم
فقال السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم لنا سلف
ونحن بالاثر رواه احمد والترمذي وحسنه وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة رواه ابن ماجة
وروى الامام احمد عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة فهذه
الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم
اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده اهل الشرك والبدع ام تجدها

مضادة لما هم عليه من كل وجه وما احسن ما قال الامام مالك بن
انس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولكن
كلما ضعف تمسك الامم بهدى انبيائهم ونقصت ايمانهم عوضوا عن
ذلك بما احدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح
التوحيد وحموا جانبه حتى كان احدهم اذا سلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر
ثم يدعو ونص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة وقت
الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي
وغيره الدعاء هو العبادة فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا ١٥٨
عند القبور منها الا ما اذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام
على اصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وبالجملة فالميت قد
انقطع عمله فهو محتاج الى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع في
الصلاة عليه من الدعاء وجوبا او استحبابا ما لم يشرع مثله في حق
الدعاء الذي قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه
واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج
والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله
دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار حتى تمنيت ان اكون انا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك الميت رواه مسلم وقال ابو هريرة سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته على الجنازة اللهم انت ربها
وانت خلقتها وانت هديتها للاسلام وانت قبضت روحها
وانت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر له رواه احمد
وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم يسند ظهره الى جدار القبر

قال اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء وقالت عايشة وانس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يصلي عليه امة من المسلمين
يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وعن
ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم
يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا
الا شفعهم الله فيه رواه مسلم فهذا مقصود الصلاة على
الميت وهو الدعاء والاستغفار والشفاعة فيه ومعلوم انه في
قبره اشد حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال
وغيره وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر
بعد الدفن فيقول سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل فعلم انه
احوج الى الدعاء بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعوله لا ندعو به
ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن اولى واحرى فبدل اهل
الشرك والبدع قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الشفاعة له بالاستشفاع
به والدعاء له بدعائه نفسه وقصدوا بالزيارة التي شرعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزايرين
وتذكيرا بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص
تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة وحضور القلب عندها
وخشوعه اعظم منه في المساجد واوقات الصلوات ومن المحال
ان يكون دعاء الموتى والدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا وتعرف
عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا
يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه
الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان
هل يمكن بشرا على وجه الارض ان يأتي عن احد منهم بنقل صحيح
او حسن او ضعيف او منقطع انهم كانوا اذا كانت لهم حاجة

قصدوا

قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا ان يصلوا عندها
او يسالوا الله باصحابها او يسالوهم حوائجهم فليعقونا على اثر
واحد او حرف واحد في ذلك بل يمكنهم ان يأتوا عن الخلوف التي
خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد
كان اكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن اصحابه حرف
واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قد مناه في الاحاديث
المرفوعة قال ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وما عليه اهل
الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم ان بين السلف وبين
هؤلاء الخلف من البعد ابعد مما بين المشرق والمغرب وانهم على
شيء والسلف على شيء كما قيل * سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين
مشرق ومغرب * والامر والله اعظم مما ذكرنا وقد ذكر البخاري
في صحيحه عن ام الدرداء قالت دخل علي ابو الدرداء مغضبا فقلت
ما لك فقال والله ما اعرف فيهم من امر محمد الا انهم يصلون جميعا
وروى مالك في الموطا عن عمه ابي سهيل بن مالك عن ابيه
انه قال ما اعرف شيئا مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة يعني
الصحابة رضي الله عنهم وقال الزهري دخلت على انس بن مالك
بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ما اعرف شيئا مما ادركت
الا هذه الصلوة وهذه الصلاة قد ضيعت ذكره البخاري
وفي لفظ آخر ما كنت اعرف شيئا على عهد رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم الا قد انكرته اليوم وقال الحسن البصري سال رجل ابا الدرداء
فقال رحمك الله لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حيا بين اظهرنا هل
كان ينكر شيئا مما نحن عليه فغضب واشتد غضبه فقال وهل يعرف
شيئا مما انتم عليه وقال ابن المبارك بن فضالة صلى الحسن الجمعة
وجلس يبكي فقيل له ما يبكيك يا ابا سعيد فقال تلومني على البكاء ولو

ان رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان
عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم عليه الا قبلتكم هذه

آخر ما كشف به المصنف رحمه الله تلبيس داود وشبهاته الواهية
وها بقية لم يظفر بها المصنف وشبهات داود لا تحتاج الى رد لمن
بقي على فطرته وسلم من الكبر والتعصب لان بطلانها وتناقضها
لا يخفى الا على من اعمى الله قلبه ومن يضلل الله فما له من هاد ولكن
لما تغير كثير من الفطر احتاجت الى كشف فكشفها الشيخ عبد الله ابا بطين
رحمه الله احسن كشف ورد ها اوضح رد فجزاه الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا ثم غرة جمادى الاولى ١٣٣٤ والحمد لله اولا وآخرا
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام مفتي الديار النجدية عبد الله بن عبد الرحمن
ابا بطين رحمه الله وكتب ذلك وهو اذ ذاك في الطايف قاضيا على
وقت استيلاء المسلمين وذلك بعد القيام من مجلس مناظرة
حصلت بينه وبين بعض من يدعي العلم في ذلك البلد ممن هو
مخالف لطريقة اهل السنة والجماعة وذلك في اول عمر الشيخ
رحمه الله فلقد نفع الله به الاسلام والمسلمين قال
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
اما بعد فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم في كلام الله تعالى هل
هو مخلوق ام لا فقد كرر ان اختياركم الوقف فلا تقولون مخلوق

ولا غير مخلوق وزعمت ان الخلاف في ذلك لفظي فاما قولكم ان الخلاف في ذلك
لفظي فليس الامر كذلك وانما يقال الخلاف لفظي بين المعتزلة و
الاشاعرة لان المعتزلة يقولون كلام الله مخلوق والاشاعرة
يقولون ليس بمخلوق والكلام عندهم المعنى ويقولون الحروف
مخلوقة فقالت المعتزلة لا خلاف بيننا وبينكم لان الكلام هو الحروف
فاذا اخبرتم بان الحروف مخلوقة ارتفع النزاع فيكون الخلاف
بين الفريقين لفظيا واما مذهب اهل السنة والجماعة فهو
مخالف للمذهبين خلافا معنويا لانهم يقولون كلام الله غير مخلوق
والكلام عندهم اسم للحروف والمعاني فتبين بذلك غلط من قال
ان الخلاف لفظي ومذهب اهل التوحيد والسنة ان الله يتكلم
بحرف وصوت وان القرآن كلام الله حروفه ومعانيه وان
موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة والقرآن والسنة يدلان على
ذلك دلالة صريحة ولله الحمد والمنة قال الله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله وكلم الله موسى تكليما
ففرق بين الايحاء المشترك وبين التكليم الخاص وقال تعالى يا
موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
وقال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من
بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وقال وتمت كلمة ربك
صدقا وعدلا وقال تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وقال تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله والآيات
في ذلك كثيرة واما السنة فاكثر من ان تحصر منها امره صلى الله
عليه وسلم بالاستعاذة بكلمات الله في عدة احاديث وقوله صلى الله
عليه وسلم ما منكم احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الحديث

في ذلك صح

في ذلك صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فمن قال ان الله لا يتكلم فقد رد على الله ورسوله وكفره ظاهر
وقد ذكرتم ان العرب قد يضيفون الفعل الى غير الفاعل
فهذا لا ينكر اعني وجود المجاز في لغة العرب واما وقوع المجاز
في القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية رح
وذكر ان اكثر الائمة لم يقولوا ان في القرآن مجازا ورد القول
بوجود ذلك في القرآن واستدل له بادلة كثيرة وعلى تقدير
جواز وجوده في القرآن فمما المعلوم انه لا يجوز صرف الكلام
عن حقيقته حتى تجمع الامة على انه اريد به المجاز اذ لا سبيل
الى اتباع ما انزل الينا من ربنا الا على ذلك ولو ساغ ادعاء
المجاز لكل احد ما ثبت شيء من العبادات ولبطلت العقود
كلها كالانكحة والطلاق والاقارير وغيرها وجل الله سبحانه
ان يخاطب الامة الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها
مما يصح معناه عند السامعين وايضا فالكلام اذا قام الدليل
على ان المتكلم به عالم ناصح مرشد قصده البيان والهدى
والدلالة والايضاح بكل طريق وحسم مواد اللبس ومواقع
الخطاب ان هذا هو المعروف المالوف من خطابه وانه اللائق
بحكمته لم يشك السامع في ان مراده هو ما دل عليه ظاهر كلامه
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه
في اثناء كلام له ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا
تكلم بمجاز فلا بد ان يقرن بخطابه ما يدل على ارادة المعنى
المجازي فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بين للناس ما
نزل اليهم يعلم ان المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه
كان عليه ان يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى
الذي لم يرده لا سيما اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الدين
فان عليه ان ينهاهم عن ان يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده

فاذا

فاذا كان ذلك مخوفا عليهم ولم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا
كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة
هو اعتقاد باطل الى آخر قوله وهذا كلام مبين لا مخلص لاحد عنه
انتهى وايضا فالادلة الدالة على ان الله يتكلم حقيقة اكثر من ان
يمكن ذكرها هاهنا منها ان الله سبحانه فرق بين الايحاء المشترك
بين الانبياء وبين التكليم الخاص لموسى فقال تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله وكلم الله موسى
تكليما فلو لم يكن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة لم يكن له
مزية على غيره من الرسل ولم يكن في تخصيصه بالتكليم فايدة ولم
يسم كليم الله وقد قال الله تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي وايضا فقد قال النحاة وغيرهم ان الفعل اذا اكد
بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة وقد اكد الفعل بالمصدر
في قوله وكلم الله موسى تكليما وقال تعالى واذ نادى ربك موسى
وقال ونادياه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا فالنداء
تكليم من البعد بما يسمعه المنادي والنجاء تكليم من القرب وقال
فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك وقال تعالى فلما اتاها نودي
من شاطئ الوادي الايمن الايه ففي هذا ونحوه دلالة صريحة على ان الله
كلم موسى وناداه بنفسه بلا واسطة وموسى سمع كلام الله وندائه
لانه لا يجوز لغير الله ان يقول اني انا رب العالمين ولو كان المخاطب
لموسى غير الله لكان الذي ينبغي له ان يقول يا موسى الله رب العالمين
وقد ذكر الامام احمد في كتاب الرد على الجهمية عن الزهري
قال لما سمع موسى كلام الله قال يا رب هذا كلامك قال نعم يا موسى
هو كلامي وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسن
كلها وانا اقوى من ذلك وانما كلمتك بقدر ما يطيق بدنك ولو
كلمتك باكثر من ذلك لمت فلما رجع موسى الى قومه قالوا صف لنا

كلام ربك فقال سبحان الله وهل استطيع ان اصفه لكم قالوا فشبهه
قال هل سمعتم اصوات الصواعق التي تقبل في احلى حلاوة سمعتموها
فكانه مثله وروى عبد الله بن احمد في كتاب السنة قال حدثني
محمد بن بكار قال اخبرنا ابو معشر عن محمد بن كعب قال قال بنو اسرائيل
لموسى بما شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق قال شبهت
صوته بصوت الرعد حين لا يترجع وايضا ففي الصحيحين عن
عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد
الا سيكلمه الله يوم القيمة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه
فلا يرى الا شيئا قدمه ثم ينظر اشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ثم
ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يقي وجهه
النار ولو بشق تمرة فليفعل وروى جابر بن عبد الله قال لما
قتل عبد الله بن عمرو بن حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
جابر الا اخبرك ما قال الله لابيك قال بلى قال ما كلم الله احدا الا
من وراء حجاب وكلم الله اباك كفاحا قال يا عبد الله تمن علي اعطك
قال يا رب تحيني فاقتل فيك ثانية قال انه سبق مني انهم اليها لا
يرجعون قال فابلغ من ورائي فانزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون رواه ابن
ماجة وغيره ففي هذين الحديثين ما يبطل دعوى مدعي المجاز
ويدحض حجته ويرغم انفه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد
الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت
يا هناه تقرب الى الله بما استطعت فلن تتقرب الى الله بشيء
احب اليه مما خرج منه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما
قرئ عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال ان هذا الكلام لم يخرج من
الا يعني من رب فوضح بما ذكرناه ان الله يتكلم حقيقة وان موسى سمع
كلام الله منه بلا واسطة وان الله يكلم عباده يوم القيمة حقيقة

وان

وان من ادعى المجاز بعد هذا البيان فقد شاق الله ورسوله ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فصل
وقد ذكرنا ما استدل به بعض المعتزلة على ان كلام الله مخلوق
وهو قوله الله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن ولا يشك
من له عقل ان من دل الخلق على ان كلام الله مخلوق بقوله هو
الاول والآخر فقد ابعد النجعة وهو اما ملغز واما مدلس لم
يخاطبهم بلسان عربي مبين وقد قال الله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك
الذين سمى الله فاحذروهم مع انه ليس في هذه الاية شبهة لمن
احتج بها وهو الحمد والمنة ولا يشتبه بها من زاغ الله قلبه الا على
رعاع الناس نسأل الله العافية واحتجتم بان الحروف يلزمها
التعاقب ويتقدم بعضها بعضا فيلزم ان تكون مخلوقة قلنا
انما يلزم التعاقب في حق من يتكلم من المخارج والله سبحانه غير موصوف
بذلك وايضا فواجب على كل مكلف التسليم لما جاء في الكتاب والسنة
ولا يعارضه بزخارف المبطلين وهذيان الملحدين قال تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فمن الله الرسالة وعلى الرسول
البلاغ وعلينا التسليم فصل وقلتم ان القول بالقرآن
غير مخلوق لم يقله السلف وان عدم القول بذلك هو الصواب
وانه هو اعتقادكم فلا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق فاما قصدكم
ان هذا القول لم يقله السلف حجة فلا ندري من يعني بالسلف عندكم
فان كان يعني بالسلف عندكم جهم وابن ابي دواد واتباعهم كابي
علي الجبائي وابي هاشم واتباعهم من الجهمية والمعتزلة فصدقتم

بان هؤلاء لم يقولوا هذه المقالة وانما قالوا القران مخلوق وبعدا
لمن كان هؤلاء سلفه واستبدل بسبيلهم سبيل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحابته والتابعين لهم باحسان ٥ وما عوض لنا منا هج جهم ٥
بمنهاج ابن آمنة الامين ٥ وان كان يعني بالسلف عندكم الصحابة
والتابعون وائمة الاسلام الذين لهم لسان صدق في الامة الذين
رفع الله قدرهم واعلى منارهم الذين هم سلف الامة حقا فاخطاتم
في نسبة عدم القول بذلك اليهم فانهم كلهم مجمعون على ان القران
كلام الله غير مخلوق قال علي رضي الله عنه في القران ليس بخالق
ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدا واليه يعود ذكر هذا الكلام
عن علي الشيخ الحافظ عبد الغني المقدسي وذكر ايضا عن عبد الله
بن مسعود وعبد الله بن عباس انهما قالا القران كلام الله منه
بدا واليه يعود فقولهم رضي الله عنهم منه بدا اي هو المتكلم به وهو
الذي انزله من لدنه ليس هو كما قال تقوله الجهمية انه خلق في
الهوى او غيره او بدا منه عند غيره واما اليه يعود فانه يسري
به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور
منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف وقال سفيان بن عيينة
سمعت عمرو بن دينار يقول ادركت مشايخنا والناس منذ سبعين
سنة يقولون القران كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود
رواه محمد بن جرير وهبة الله بن الحسين الطبريان في كتاب السنة
لهما وقد ادرك عمرو بن دينار اباهريرة وابن عباس وابن عمر
وغيرهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يدل على شهرة
القول بذلك في ترمن الصحابة الذين ادركهم عمرو بن دينار وعلى
شهرته عند التابعين وانهم كلهم على ذلك وقال البخاري حدثنا
سفيان بن عيينة قال ادركت مشايخنا مشيختنا منذ سبعين سنة
منهم عمرو بن دينار يقولون القران كلام الله غير مخلوق فعمرو

بن دينار حكاه عن مشيخته والناس وسفيان حكاه ايضا عن مشيخته
فهذا صريح في الدلالة على اشتهار هذا القول في القرون التي اثنى
عليها النبي صلى الله عليه وسلم وكلام ائمة الاسلام في ذلك كثير اكثر
من ان يمكن ذكره هنا كابي حنيفة ومالك والاوزاعي والليث
والثوري والشافعي وابن المبارك واحمد واسحق وابي عبيد
والبخاري وغيرهم من ائمة الفقه والحديث وكلهم على ذلك
مجمعون وكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون وحكى غير واحد
الاجماع على ذلك قال الامام ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم
سالت ابي وابا زرعة عن مذاهب اهل السنة في اصول الدين
وما ادركا عليه العلماء في جميع الامصار حجازا وعراقا وشاما
ويمنا فكان من مذاهبهم ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص
والقران كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره
من الله وان الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه
في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف احاط بكل شيء علما ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وقد ذكرتم ان بعض السلف قال بخلق
القران كابن المديني فلا شك ان ابن المديني وابن معين وغيرهما
من اهل الحديث اجابوا في المحنة كرها واعتذروا بالاكراه لما
عاب ذلك عليهم الائمة وهجرهم الامام احمد ولم يعذرهم واحتج عليه
ابن معين بعمار رضي الله عنه حين اكرهه اهل مكة على كلام
الكفر ورد عليه احمد بان قال عمار ضرب وانتم قتل لكم ترى ان
نضربكم ومن المعلوم انه لم يثبت في المحنة الا القليل والاكثرون
اجابوا مكرهين ومن نسب القول بذلك الى ابن المديني او غيره
من اهل الحديث بعد تصريحهم انهم اجابوا كرها فقد قال ما
لا يعلم ونسب اليهم ما هم منه برآء وقد ذكرتم ان ابن علية قال
بذلك فهذا لا ينكر وابرهيم بن علية معروف عند اهل السنة

بالبدعة وكلام الائمة في ذمه كثير والبخاري وان روى عنه فهو
عنده من اهل البدع وقد روى البخاري عن غير واحد من اهل
البدع لان الرجل اذا عرف منه الصدق والاتقان لما روى جازت
الرواية عنه ولا يخرجه ذلك عن كونه مبتدعا قال البيهقي
في مناقب الشافعي ذكر الشافعي ابرهيم بن اسمعيل بن علية
فقال انا مخالف له في كل شئ وفي قول لا اله الا الله لست اقول
كما يقول انا اقول لا اله الا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب و
ذاك يقول لا اله الا الله الذي خلق كلاما اسمعه موسى من وراء
حجاب واما قولكم ان الصواب في هذه المسئلة الوقف وانه
هو اعتقادكم لا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق فمضمون هذه
المقالة انا لا يجب منا ان نقف موقف الحيارى الشاكين ونبقى
في الجهل البسيط لا نعرف الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وان الله يجب منا عدم
العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويجب منا الحيرة والشك
ومن المعلوم ان الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال
وانما يحب الدين والعلم واليقين وقد ذم الحيرة بقوله تعالى قل
اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا
بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له
ومن المعلوم انه لا بد ان يكون كلام الله في نفس الامر مخلوقا
او غير مخلوق لا غير وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتقد احد
الامرين لا غير واذا كان الامر كذلك فلا بد ان يكون الرسول
صلى الله عليه وسلم قد دل امته على ما يعتقد وبنه من ذلك قال صلى الله
عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي
الا هالك وقال فيما صح عنه ايضا ما بعث الله من نبي الا كان
حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه

لهم وقال ابو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما فمحال مع تعليمهم كل شيء لهم منفعة في الدين وان دقت ان يترك تعليمهم ما يتولونه بالستهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف وعبادته اشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب فكيف يتوهم منا في قلبه ادنى مسكة من ايمان وحكمة ان لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وايضا فالرب سبحانه وتعالى عالم بما سيقع من التنازع فقال وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومن المحال ان يأمرهم برد ما تنازعوا فيه الى ما لا يفصل النزاع ويبين الحق والباطل وقد امرنا الله سبحانه ان نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام من الليل يصلي اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم فهو يسأل ربه ان يهديه لما اختلف فيه من الحق باذنه فكيف يكون محبوبا لله عدم الهدى في مسائل الخلاف وقد قال الله سبحانه لموسى وقل رب زدني علما وايضا فالشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين غاية ما في الباب ان من لم يكن عنده علم بالنفي والاثبات يسكت فاما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فليس للواقف الشاك الحايران ينكر على هذا العالم الجازم المستبصر
المتبع للرسول العالم بالمنقول والمعقول قال الامام احمد رحمه الله
من لم يقل القران كلام الله غير مخلوق فهو يقول مخلوق والامر
كما قال رحمه الله فانا نجد بعض من يقول بالوقف يعيب على من
ينفي الخلق عن كلام الله ويحتج عليه بحجج القايلين بالخلق كما قد
اوردتم شيئا من ذلك وعبتم على الامام احمد رحمه الله كلامه في
هذه المسئلة قلتم ان احمد جعل هذه المسئلة عدلة التوحيد
قلتم ذلك اتباعا لمن استوفى نصيبه من الحمق والجهل صاحب
الكتاب المسمى بالعلم الشامخ وقد عاب في كتابه ذلك على الامام
احمد ونسبه الى التعصب وطعن ايضا على غيره من ائمة الحديث
والسنة ولقد احسن القايل ٥ واذا اشتكى مذمتي من ناقص ٥ فهي الشهادة
لي بانني فاضل ٥ فلو ان هذا المسكين امسك لسانه عن ثلب ائمة
ائمة المسلمين الاسلام لكان استر له وهو لم يضر الا نفسه لا يضرهم
كلامه شيئا كما قيل ٥ وهل حط قدر البدر عند طلوعه ٥ اذا ما انكر ته كلاب فهرت ٥
٥ وما ان يضر البحر ان قام احمق ٥ على شطه يرمي اليه بصخرة ٥
والذي ينبغي لهذا وامثاله اذا حجمت بهم ذنوبهم عن استبانة الحق
ان يمسكوا السنتهم عن عيب اهل السنة والطعن عليهم ويلجوا
الى الله في سؤال الهداية فنسأل الله ان يهدينا واخواننا الصراط
المستقيم صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فصل وقد ذكرتم ايضا قول الجهمية ان موسى لم
يسمع كلام الله منه وانما سمعه من غيره من الشجرة او غيرها لان
الكلام لا يكون الا من جوف ولسان وفم وشفتين فاما قولكم
ان موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة وانما سمعه من غيره
فهذا ظاهر البطلان لانه لا يجوز لغير الله ان يقول يا موسى اني
انا الله رب العالمين يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد

المقدس

المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله
انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فمن زعم ذلك فقد زعم ان غير الله
ادعى الربوبية والالهية ولو كان كما زعم القايل ان المخاطب لموسى
غير الله كان يقول ذلك المخاطب يا موسى انا رب العالمين يا موسى
انا ربك لا يجوز له ان يقول اني انا الله رب العالمين اني انا ربك
وهذا مما احتج به الامام احمد رحمه الله على الجهمية فيالك من
بيان ما اوضحه وحجة ما اقطعها للمنازع واما قولكم ان
الكلام لا يكون الا من جوف وفم ولسان وشفتين فهذا باطل
لان الله تعالى قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طايعين اترى قالت بفم ولسان وشفتين والجوارح
اذا شهدت على الكافر فقالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء اترى نطقت بلسان وادوات وقال
تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون اترى
تكلمت بجوف وفم وشفتين ولسان ولكن الله انطقها كيف شاء
فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير ان نقول بجوف ولا فم ولا لسان
ولا شفتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسلم
علي وسبح الحصا في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكف ابي
بكر وعمر وعثمان وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل وجاء الحديث ان في آخر الزمان يكلم الرجل سوطه
ونحو ذلك كثير ولا خلاف في ان الله قادر على ان ينطق الجماد
من غير مخارج فبطل ما ادعوه من ان الحروف لا تكون الا من
مخارج ومن الدليل على اتصاف الله بالكلام حقيقة قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم
يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا نبه بهذا الدليل على ان من لا يتكلم
ولا يهدي لا يصلح ان يكون الها وكذلك قوله في الآية الاخرى

عن العجل افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
فجعل امتناع صفة الكلام والتكلم وعدم ملك الضر والنفع دليلا
على عدم الالهية وهذا دليل عقلي اسمعي على ان الاله لا بد ان يكلم
ويتكلم ويملك لعابده الضر والنفع والا لم يكن الها ومما استدل به
احمد وغيره من الائمة على ان كلام الله غير مخلوق قوله تعالى الا له
الخلق والامر قالوا فلما قال الا له الخلق لم يبق شيء مخلوق الا كان داخلا
في ذلك ثم ذكر ما ليس بمخلوق فقال والامر وامره هو قوله تبارك
وتعالى فلا يكون خلقا واستدل الامام احمد ايضا على الجهمية
لما قالوا ان كلام الله مخلوق فقال وكذلك بنوا آدم كلامهم
مخلوق فشبههم الله بخلقه حين زعموا ان كلامه مخلوق ففي
مذهبكم ان الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق
التكلم وكذا بنوا آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما
فتكلم
فجمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة ومما
يبين ان السلف كانوا يعتقدون ان كلام الله غير مخلوق انهم
اوجبوا الكفارة على من حلف بالقرآن اذا حنث في يمينه
وقال بعض الصحابة عليه بكل آية كفارة سمع ابن مسعود
رجلا يحلف بالقرآن فقال اتراه مكفرا ان عليه بكل آية كفارة
وقد اجمعوا انه لا يجوز الحلف بالمخلوقات ولا تنعقد به اليمين
فلو كان القرآن مخلوقا عندهم لم يجوزوا الحلف به ولم يوجبوا
على الحالف به اذا حنث كفارة لانه حلف بشيء مخلوق وايضا
من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان اسم الله في القرآن مخلوق
فيلزمه ان من حلف بالله الذي لا اله الا هو انه لا يحنث لانه
حلف بشيء مخلوق قال الامام احمد رحمه الله تعالى في كتاب الرد
على الجهمية وزعمت ان اسم الله في القرآن انما هو اسم مخلوق
فقلنا قبل ان يخلق هذا الاسم ما كان اسمه قالوا لم يكن له اسم

فقلنا

فقلنا وكذلك قبل ان يخلق العلم اكان جاهلا لا يعلم حتى خلق لنفسه
علما وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نورا وكان لا قدرة له حتى خلق
لنفسه قدرة فعلم الخبيث ان الله قد فضحه وابدى عورته للناس حين
زعم ان الله سبحانه في القرآن انما هو اسم مخلوق فقلنا للجهمي لو ان
رجلا حلف بالله الذي لا اله الا هو كاذبا لا يحنث لانه حلف بشيء
مخلوق ولم يحلف بالخالق ففضحه الله في هذه وقلنا للجهمي اليس
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء من
بعدهم والقضاة والحكام انما كانوا يحلفون الناس بالله الذي
لا اله الا هو وكانوا مخطئين في مذهبكم انما كان ينبغي للنبي صلى الله
عليه وسلم ولمن بعده ان يحلفوا بالذي اسمه الله واذا اراد وا ان
يقولوا لا اله الا الله قالوا لا اله الا الذي خلق الله والا لم يصح توحيدهم
ففضحه الله لما ادعى على الله الكذب وايضا فقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بكلمات الله فارشد الامة الى ذلك
فقال فيما ثبت في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم من نزل منزلا فقال
اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل
من ذلك ففي هذا دليل صريح على ان كلام الله غير مخلوق لان
الاستعاذة بالمخلوق شرك والنبي صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
عن الشرك فصل وقد ذكرنا فيما تقدم ان مذهب
اهل السنة ان الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله بالصوت
والصوت هو ما يتاتى سماعه والقرآن والسنة يدلان على ان الله
يتكلم بصوت قال الله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي
الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين وقال فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن
حولها الى قوله يا موسى اني انا الله رب انا انا الله العزيز الحكيم وقال
فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك وقال تعالى واذ نادى ربك

منزلة ح

موسى وقال تعالى ونادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا
والنداء لا يكون الا بصوت فدل على انه كلمه بصوت وموسى لم يسمع
الا الحرف والصوت هذا مما يعلم بالاضطرار وقال تعالى ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وقال تعالى ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقال تعالى ونادياهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
والآيات في ذلك كثيرة واما السنة ففي الصحيحين عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى
يوم القيمة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان
الله يأمرك ان تبعث بعثا الى النار الحديث وروى عبد الله
بن انيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الناس يوم القيمة واشار بيده الى الشام عراة غرلا بهما
قال قلت ما بهما قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من
بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد منا اهل
الجنة ان يدخل الجنة واحد منا اهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي
لاحد من اهل النار ان يدخل النار واحد من اهل الجنة يطلبه
بمظلمة حتى اقصه منه قالوا وكيف وانما ناتي الله عراة غرلا قال
بالحسنات والسيئات رواه احمد وجماعة منا الائمة وقال عبد الله
بن احمد سالت ابي فقلت ان الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت
فقال كذبوا انما يريدون ان يبطلوا الحديث ثم قال حدثنا عبد الرحمن
بن محمد المحاربي حدثنا سليمان الاعمش قال حدثنا ابو الضحى عن
مسروق عن عبد الله قال اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل
السماء فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن
قلوبهم نادى اهل السماء اهل السماء ماذا قال ربكم قالوا الحق
قال كذا وكذا ذكره عبد الله في كتاب السنة بهذا الاسناد ورواه

ابو بكر الخلال وروى ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم في الرد على
الجهمية قال اخبرنا ابو زرعة اخبرنا عثمان بن ابي شيبة اخبرنا
جرير عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس
قال ان الله تبارك وتعالى اذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات له صوتا
كصوت الحديد اذا وقع على الصفا فيخرون له سجدا فاذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وفي
صحيح البخاري عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله
كانه سلسلة على صفوان الحديث وقد قدمنا ما حكاه الامام
احمد عن الزهري قال لما سمع موسى كلام الله قال يا رب هذا الكلام
الذي سمعته كلامك قال نعم يا موسى هو كلامي الى ان قال فلما رجع
موسى الى قومه قالوا صف لنا كلام ربك قال سبحان الله وهل
يستطيع ان اصفه لكم قالوا فشبهه قال هل سمعتم اصوات الصواعق
التي تقبل في احلى حلاوة سمعتموها فكانه مثله وتقدم ايضا ما
رواه عبد الله بن احمد عن محمد بن كعب قال قال بنو اسرائيل لموسى
بما شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق قال شبهت صوته
بصوت الرعد حين لا يترجع وفيما ذكرناه كفاية لمن اراد الله
هدايته ومن يضلل الله فما له من هاد فلن تجد له وليا مرشدا
وذكر عبد الرحمن بن الفقيه نجم الدين الحنبلي قال كنت يوما عند
القاضي فتناظروا في مسئلة القرآن وعندنا امين الحاج العزيز
طرحان الضرير فقال لنا اسمعوا مني حكاية تحلنا هات قال تناظر
اشعري وحنبلي فقال الاشعري للحنبلي اخبرني اذا وفقك الله
غدا بين يديه فقال لك منا اين قلت ان كلامي بحرف وصوت فماذا
يكون جوابك فقال الحنبلي اقول يا رب هو ذا انا اسمع كلامك بحرف
وصوت قال ثم سكت فلم يرد هذا شيئا فبهت القاضي ولم يدر ما يقول

وانقطع الكلام على هذا واحتج من ينفي الصوت بان قال الصوت انما
هو انين جرمين والله سبحانه منزه يتقدس عن ذلك والجواب
بان يقال فهذا قياس منكم لله على خلقه وتشبيه له بعباده والله
تعالى لا يقاس على مخلوقاته ولا يشبه بمصنوعاته ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وايضا فانه يلزمهم في سائر الصفات التي اثبتوها
فان العلم في حقنا لا يكون الا من قلب والنظر لا يكون الا من حدقة
والسمع لا يكون الا من انخراق والحياة لا تكون الا في جسم والله تعالى
يوصف بهذه الصفات من غير ان يوصف بهذه الادوات فكذلك
الصوت والا فما الفرق واتفق سلف الامة وائمتها على ان القرآن
الذي يقرأه المسلمون كلام الله تعالى فالصوت المسموع صوت القاري
والكلام كلام الباري فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب
تبارك وتعالى ولم يقل احد منهم ان اصوات القراء قديمة ولا مداد المصاحف
قديم مع اتفاقهم ان المثبت بين لوحي المصحف كلام الله وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم فالكلام الذي يقرأه
المسلمون كلام الله والاصوات التي يقرؤن بها اصواتهم فالكلام
شيء والصوت شيء آخر هذا مما لا يخفى على من لم يرسخ التعطيل في قلبه
ثم ليعلم ان معتمدنا في اثبات الصفات على الكتاب والسنة فمهما
جاء فيهما فهو الحق والصدق لا يجوز التعريج على ما سواه والالتفات
الى هذيان يخالفه فان الله تعالى امرنا بالاخذ بكتابه والاقتداء
برسوله صلى الله عليه وسلم واخبرنا عن رسوله انه قال انا اتبع الا
ما يوحى الي وقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الى قوله فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وقال
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وهانحن قد بينا ان قولنا في الكتاب والسنة واجماع

الايمة

الأئمة فهاتوا من الكتاب او السنة او قول صحابي او امام مرضي ان الله لم يتكلم او انه يتكلم مجازا او ان كلامه مخلوق او لا يتكلم بحرف وصوت ولن تجدوا الى ذلك سبيلا فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن العقول الذي يخالف الكتاب والسنة وقال بقول اهل السنة وترك رأيه وجهله وبدعته جعلنا الله سبحانه ممن هدي الى صراطه المستقيم ووفقنا لاتباع رضى رب العالمين والاقتداء بنبيه محمد خاتم النبيين والسلف الصالحين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين صلاة دايمة الى يوم الدين آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم مسئلة

ما تقول السادة العلماء ايمة الدين رضي الله عنهم اجمعين هل هذا القران الذي نتلوه القايم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة لذاته ام لا واذا كان كلامه فهل اذا تلوناه وقام بنا يطلق عليه كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة لذاته ام لا واذا كان كلامه فهل اذا تلوناه وصفته ام يطلق عليه كلام الله دون صفته ام في ذلك تفصيل يجب بيانه وهل اذا قام بنا كان منتقلا عن الله بعد ان قام به ام يكون قايما بنا وبه معا ام الذي قام بنا يكون عبارة عن كلام الله او حكاية عنه ويكون اطلاق كلام الله عليه مجازا وهل يكون صفة لنا محدثة قامت بحدث اذ القديم لا يقوم بمحدث والمحدث لا يكون قديما وهل التلاوة هي نفس المتلو ام لا افتونا ماجورين

اجاب

شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية قدس الله روحه الحمد لله رب العالمين هذه المسئلة جوابها يحتمل البسط ويمكن فيه الاختصار ثم بسط الجواب بعض البسط

فاما الجواب المختصر فانه يقال جواب هذه المسئلة مبني على مقدمة
وهي انا نعرف الانسان معنى قول القايل لما بلغه عن غيره
هذا كلام ذلك الغير فان المحدث اذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى او بقوله الحلال
بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهة لا يعلمها كثير من الناس
او قوله من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ونحو ذلك فانه
من المعلوم ان هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به بلفظه
ومعناه فهو الذي اخبر بمعناه وهو الذي الف حروفه وقد
تكلم بها بصوته ثم المبلغ لذلك عنه بلغ كلامه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه فدعا
بالنضرة لمن سمع منه حديثا فبلغه كما سمعه فبين ان الحديث المسموع
منه هو الحديث المبلغ عنه مع العلم بان المبلغ عنه بلغه بافعاله
واصواته وان الصوت المسموع منه لا صوت النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك الحديث بصوته المختص
به فالمبلغ عنه هو حديثه الذي سمع منه وليس الصوت المسموع
صوته فاذا قال القايل هذا الحديث الذي قرأته المحدث القايم به
حين القراءة هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام به حين تكلم
به وكان صفة له ام لا قيل له ان كنت تريد ان نفس الحديث من
حيث هو هو هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام به حين تكلم به
كان صفة له فنعم هذا الحديث من حيث هو هو هو كلام النبي صلى الله
عليه وسلم وان كنت تريد ان ما اختص بالقاري من حركاته واصواته
هو القايم بالرسول فليس كذلك وكذلك ان اردت ان نفس
ما اختص به الرسول من حركاته واصواته والصفات القايمة
بنفسه هي بعينها انتقلت عن الرسول وقامت بالقاري فليس كذلك

وقول

ا هو صوته

وقول القايل هذا هو هذا وليس هو اياه وهذا هو عين هذا وقول
ليس هو عينه لفظ فيه اجمال فانه من نقل لفظ غيره كما سمعه او
كتبه في كتاب فانه يقول هذا كلام فلان بعينه وهذا نفس كلامه
وهذا عين كلامه ومراده ان نفس ما قاله هو الذي بلغه وهو
المكتوب في الكتاب لم يزد فيه ولم ينقص منه فاذا قال القايل لما ١٦٩
سمع من القاري هذا عين كلام الله او هذا كلام الله بعينه او
هذا نفس كلام الله او قال لما بين لوحي المصحف هذا كلام الله
بعينه وهذا عين كلام الله كان صادقا ومن انكر ذلك بهذا
الاعتبار كان مقتضى قوله ان القرآن زيد فيه ونقص وهذا
كان الناس مطبقين على انه ما بين اللوحين كلام الله والانكار
على من نفى ذلك وقد يقال لكلام المتكلم المسموع منه هذا كلام
زيد بعينه وهذا عين كلام زيد وهذا نفس كلام زيد بمعنى
انه مسموع منه بلا واسطة بحيث يسمع بصفة ذلك المتكلم
المختص به بذلك كما قال ايوب السختياني كان الحسن يتكلم بكلاما
فيأتي مثل الدر فتكلم به بعده قوم فجاء مثل البعر والمتكلم
بالكلام من البشر له صوت يختص ونغمة تخصه كما له سجية تخصه
كما قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم ولانه ايضا ان كان آمرا
او ناهيا او مخبرا من الحال والصفة والكيفية ما يختص به فاذا
سمع كلامه بالصفة المختصة به وتفس كلامه وادخلت الصفة
المختصة به وقيل هذا هو كلامه بعينه وهذا عين كلامه ونفس
كلامه وادخلت الصفة المختصة به في مسمى العين والنفس لم يصدق
هذا عليه اذا كان مرويا لكن لما كان الناس في زماننا يعلمون
ان احدا لا يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه لم يسبق هذا المعنى
الى ذهن احد بل كل احد يعلم انا اذا قلنا سمعنا كلام النبي
صلى الله عليه وسلم منه وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم بعينه وهذا

عين كلامه فانما المراد به المعنى الاول وهو كون نفسه مسموعا من المبلغ
عنه لا انه مسموع منه ولا ان تكلمه الذي يختص بالقيام وجد
واذا كان هذا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم فكلام الله سبحانه اولى
بذلك فان الناس يعلمون ان احدا منهم لم يسمعه من الله كما سمع
موسى كلام الله من الله بل يعلمون ان كلام الله انما سمع من المبلغين
له كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقال تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وقال
نوح ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وكذلك
هود ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وفي
سنن ابي داود عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
بالموقف الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا
منعوني ان ابلغ كلام ربي فلما كان هذا مستقرا في قلوب
المسلمين علموا ان قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله انما هو سماعه من المبلغين له لا سماعه
منه وان هذا السماع ليس كسماع موسى كلام الله من الله فان
موسى سمعه منه بلا واسطة ونحن اذا سمعنا كلام النبي صلى الله
عليه وسلم من الصحابة لم يكن كسمع الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم
مع انهم يبلغونه حديثه كما سمعوه فاذا كانوا بلغوه كما سمعوه
مع العلم بانهم لم يحكوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحكي اصواتهم
صوته ولا مثل صوته مع انهم بلغوا حديثه كما سمعوه فالقرآن
اولى ان يكون جبريل بلغه كما سمعه والرسول بلغه كما سمعه
والامة بلغته كما سمعته وان يكون ما بلغته هو ما سمعته وهو
كلام الله غير مخلوق مع ان الرسول بشر من جنس البشر والله
تعالى ليس كمثله شيء والتفاوت الذي بين صفات الخالق والمخلوق
اعظم من التفاوت بين ادنى المخلوقات واعلاها فاذا كان سمع

التابعين

التابعين لكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة ليس كسمع الصحابة
من النبي صلى الله عليه وسلم فسماع كلام الله من الله أبعد من مماثلة سماع
شيء لشيء من المخلوقات والقايل اذا قال لما سمعه من المبلغ
عن الرسول هذا كلام الرسول او هذا كلام صواب او حق
او صحيح او هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كما سمعه
او هذا نفس كلام الرسول او عينه فانما قصد الى مجرد الكلام
وهو ما يوجد حال سماعه من المبلغ والمبلغ عنه لم يشر الى
ما يختص باحدهما فلم يشر الى مجرد صوت المبلغ ولا مجرد
صوت المبلغ عنه ولا الى حركة احدهما بل هناك امر يتحد
فيه القالبين وهذا امر يتعدد يختص كل منهما منه بما يخصه فاذا
قيل هذا هو كلامه كانت الاشارة الى المتحد المتفق عليه بينهما
واذا قيل هذا صوته كانت الاشارة الى المختص المتعدد فيقال
هذا صوت غليظ او رقيق او حسن او ليس حسنا كما في الحديث
الذي في سنن ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله اشد
اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى
قينته وفي الحديث المشهور زينوا القران باصواتكم قال احمد
يحسنه بصوته ما استطاع فبين الامام احمد ان الصوت صوت
القاري مع ان الكلام كلام الباري وهذا كما انه معلوم من تبليغ
كلام الله ورسوله فكذلك في تبليغ كلام كل احد فاذا سمع الناس
منشدا ينشد الا كل شيء ما خلا الله باطل قالوا هذا شعر لبيد
لفظه ومعناه ورعيناه وهذا كلام لبيد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
ولو قال المنشد هذا شعري او كلامي لكذبه الناس لذلك كما يكذبونه
لو قال هذا صوت لبيد واذا قال هذا لفظ لبيد بالمعنى المعروف
وهو ان هذا الكلام الملفوظ هو كلامه بنظمه وتاليفه لصدقه

الناس وان قال هذا لفظه بمعنى ان هذا بلفظه كذبه الناس فان
هذا اللفظ يراد به المصدر ويراد به الملفوظ وكذلك التلاوة
والقراءة يراد بذلك المصدر ويراد به الكلام نفسه الذي
يقرأ ويتلى واصل هذا ان تعلم الجامع والفارق بين سماع
الكلام من المتكلم به ومن المبلغ له عن المتكلم به وانه كلامه
في الحالين لكن هو في احدهما مسموع منه سماعا مطلقا بغير واسطة
وفي الاخرى مسموع عنه سماعا مقيدا بواسطة التبليغ كما انك
تارة ترى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة فلا يحتاج
في ذلك الى واسطة وتارة تراها في ماء او مرآة ونحو ذلك فتراها
بواسطة ذلك الجسم الشفاف فهي المقصودة بالرؤية في
الموضعين لكن في احدى الحالتين رايتها نفسها بالمباشرة رؤية
مطلقة وفي الاخرى رايتها رؤية مقيدة بواسطة واذا قلت
المرئي هو مثالها وخيالها ونحو ذلك قيل انت تجد الفرق
بين رؤيتك خيال الشيء الذي هو ظله وتمثاله الذي هو صورته
المصورة وبين رؤيته في الماء والمرآة اذا كان المرئي هنا
وان كان لا بد فيه من توسط خيال فالمقصود بالرؤية هو الحقيقة
ولكن تختلف باختلاف المرآة فيرى كبيرا ان كانت المرآة كبيرة
وصغيرا ان كانت المرآة صغيرة ومستطيلا ان كانت المرآة
مستطيلة وهذا الكلام المروي عن الغير المقصود منه هو نفس
كلام ذلك الغير وان كان لا بد من توسط صوت هذا المبلغ ولهذا
يختلف باختلاف صوت المبلغ فتارة يكون رقيقا وتارة
غليظا وتارة مجهورا به وتارة مخافتا به فان قلت فهذا المسموع
مثل كلام المروي عنه او حكاية كلام المروي عنه كما اطلق ذلك
طائفة من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم كان اطلاق هذا خطأ
كما انك اذا قلت لما تراه في الماء والمرآة هذا مثل الشمس او هذا

يحكي الشمس كان اطلاق ذلك خطأ قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية فقد بين
عجز الخلايق عن الاتيان بمثله مع انهم قادرون على تبليغه وتلاوته فعلم ان هذا المسموع لا يقال انه مثل كلام الله كما سماه كلامه
لكنه كلامه بواسطة المبلغ لا بطريق المباشرة والله سبحانه قد
فرق بين التكليمين فقال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ففرق
بين تكليمه من وراء حجاب كما كلم موسى وبين تكليمه بارسال رسول
يوحي باذنه ذاك تكليم بلا واسطة وهذا تكليم بواسطة وان
قلت لما يبلغه المبلغ عن غيره هذا حكاية كلام ذلك الغير كان
الاطلاق خطأ فان لفظ الحكاية اذا اطلق يراد به انه تكلم اي بكلام
يشبه كلامه كما يقال هذا يحاكي هذا وهذا قد حكى هذا لكن قد يقال
فلان قد حكى هذا الكلام عن فلان يقال رواه عنه وبلغه عنه ونقله
عنه وحدث به عنه وهذا يجيء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يروي عن ربه وفيما يحكي عن ربه فكلما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم
عن الله فقد حكاه عنه ورواه عنه فالقايل اذا قال للقارئ
هذا يحكي كلام الله او يحكي القرآن فقد يفهم منه انه يأتي بكلام
يحاكي به كلام الله وهذا كفر وان اراد انه يبلغه ويتلوه فالمعنى
صحيح لكنه ينبغي بما لا يدل على معنى باطل فيقول قراءته وتلاوته
وتبليغه وادائه وهذا اذا قيل يحكي القراءات السبع ويرويها وينقلها
لم ينكر ذلك لانه لا يفهم منه الا تبليغها لا انه يأتي بمثلها

يعني تعبيره

فصل اذا تبين ذلك فيقال هذا القرآن الذي نقرأه
ونبلغه ونسمعه هو كلام الله الذي تكلم به ونزل به روح القدس
كما قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
الى قوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا

الى قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذا الكلام في القران الذي
قالوا انما يعلمه اياه بشر وقد ابطل ذلك بقوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فدل على ان المراد به نفس
القران العربي الذي يمتنع ان يعلمه اياه اعجمي ذلك الاعجمي الذي
الحدوا اليه وقد قيل انه رجل بمكة مولى لابنة الحضرمي والمعاني
المجردة لا يمتنع تعلمها من الاعجمي بخلاف هذا القران العربي فدل
ان هذا القران نزله روح القدس من الله تبارك وتعالى ومثله
قوله تعالى في الآية الاخرى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق وهذا الكلام صفة لله تعالى واما اختصاص
قيامه بنا من حركاتنا واصواتنا وفهمنا وغير ذلك من صفاتنا
فلم يقم منه شيء بذات الله سبحانه كما ان ما اختص الرب تعالى بقيامه
به لم ينتقل عنه ولم يقم بغيره لا هو ولا مثله فان المخلوق اذا سمع
من المخلوق كلامه وبلغه عنه كان ما بلغه هو كلامه كما تقدم قول
النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه
مع ان ما قام بالنبي صلى الله عليه وسلم بباطنه من العلم والارادة
وغيرهما وبظاهره من الحركة والصوت وغيرهما لم ينتقل عنه
ولم يقم بغيره بل جميع صفات المخلوقين لا تفارق ذواتهم ولا
تنتقل عنهم فكيف يجوز ان يقال ان صفة الخالق فارقت ذاته
وانتقلت عنه والمتعلم اذا اخذ علم المعلم ونقله عنه لم يفارق
ذات الاول وينتقل عنها الى الثاني بل نفس الحقيقة العلمية
حصلت له سواء حصل له مثل ما حصل لمعلمه او ليس مثله بل
يشبهه وهذا يشبه العلم بضوء السراج كل احد يقتبس منه
وهو لم ينقص ومن المعلوم ان ضوءا وقد من مصباح غيره
فانه لم ينتقل الى سراجه شيء من جرم النار ولا شيء من صفاتها

القائمة بها بل جعل الله بسبب ملاصقة النار ذلك هواء نارا مثل
تلك فالحقيقة النارية موجودة وان كانت هذه العين
ليست تلك لكن النار والعلم ليس هو مثل الكلام الذي يبلغ عن
الغير بل هو مثل ان يسمع بعض الناس كلام غيره وشعر غيره
فيقول من جنس ما قال او يقول فمقال غيره مثله كما يقال وقع
الخاطر كوقع الحافر على الحافر وليس هذا من التبليغ والرواية
في شيء فان قول القائل الا كل شيء ما خلا الله باطل هو كلام لبيد
كيف ما انشده الناس وكتبوه فهذا الشعر الذي ينشده هو
شعر لبيد بعينه فاذا قيل الشعر الذي قام بنا هو الذي قام بلبيد
قيل ان اريد بذلك ان الشعر من حيث هو هو فهو كذلك وان
اريد ان نفس ما قام بذاته فارق ذاته وانتقل الينا فليس كذلك
وكذلك ان اريد ان عين الصفة المختصة بذلك الشخص كحركته
وصوته هي عين الصفة المختصة بنا كحركتنا وصوتنا فليس كذلك
فقولك هذا هو هذا لفظ فيه اجمال يشبه السياق فاذا قلت
هذا الكلام هو ذاك وهذا الشعر هو ذاك ان كنت صادقا واذا
قلت هذا الصوت هو ذاك ان كان كذبا والناس لا يقصدون
اذا قالوا هذا شعر لبيد الا القدر المتحد وهي الحقيقة من
حيث هي مع قطع النظر عما اختص به احدهما فان قيل القدر المتحد
كلي مطلق والكليات انما توجد في الاذهان لا في الاعيان قيل ذكر
هذا هنا غلط فان هذا انما يقال لو كان رجل قد قال شعر لبيد
من غير ان يعلم بشعره فنقول هذان شيآن اشتركا في النوع
الكلي وامتاز احدهما عن الآخر بما يخصه والكلي انما يوجد كليا
في الذهن لا في الخارج واما هنا بنفس شعر كان له وجود في الخارج
والمقصود منه الحقيقة الكلامية مع قطع النظر عن صوت زيد
وعمرو وتلك موجودة لما تكلم به لبيد وموجودة اذا انشده

لعله بيبينه

غير لبيد و تلك الحقيقة المتحدة موجودة هنا وهنا ليست مثل
وجود الانسانية في زيد وعمرو وخالد فان انسانية زيد ليست
انسانية زيد عمرو بل مثلها والمشترك بينهما لا يوجد في الخارج
وهنا نفس الكلام الذي تكلم به لبيد تكلم به المنشد عنه و لا يقال
انه انشأ عين مثله و لا انشد مثله بل يقال انشد شعره بعينه
لكن الشعر عرض والعرض لا يقوم الا بغيره فلا بد ان يقوم
اما بلبيد و اما بغيره والقايم به وان كان مثل القايم بغيره لكن
المقصود بهما واحد فالتماثل والتغاير في الوسيلة والاتحاد في
الحقيقة المقصودة و تلك الحقيقة هي انشاء لبيد لا انشاء
غيره والعقلاء يعلمون انه ليس نفس الصوت المسموع من لبيد
هو نفس الصوت المسموع انما من المنشد لكن نفس المقصود
بالصوت وهو الكلام فان الصوت واسطة في تبليغه ولهذا ما كان
في الصوت من مدح و ذم كان للمبلغ وما كان في الكلام من مدح وذم
كان للمتكلم المبلغ عنه في لفظه و نظمه و معناه واذا عرف هذا
فقول القايل هذا القران الذي نتلوه القايم بنا حين التلاوة هو
كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له ام لا قيل له اما
الكلام فهو كلام الله لا كلامنا ولا غيرنا وهو مسموع من المبلغ
عن الله كما تقدم وهو مسموع بواسطة سماعا مقيدا لا سماعا
من الله مطلقا كما تقدم وليس شيئ مما قام بذاته فارقها وانتقل
الينا ولا شيئ مما يختص بذواتنا كحركاتنا واصواتنا فهو منا قايما
به واما قوله هذا القران الذي نتلوه القايم بنا حين التلاوة
هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به فلفظ القيام قيد اجمال
فان اراد ان نفس صفة الرب تكون صفة لغيره او صفة العبد
تكون صفة للرب فليس كذلك وان اراد ان نفس ما ليس بمخلوق
صار مخلوقا او ما هو مخلوق صار غير مخلوق فليس كذلك وان

اراد

وان ارادان ما اختص الرب بقيامه به شاركه فيه غيره فليس الامر
كذلك وان اراد ان نفس الكلام كلامه لا كلام غيره فخ الحالين كما
تقدم تقريره فالامر كذلك وان اراد ان نفس وقد علم ان الحال
اذا سمع منا الله ليس كالحال اذا سمع من خلقه وذلك فرق بين
الحالين وان كان الكلام واحدا فاذا كان هذا الكلام الفرق ثابتا
فخ كلام المخلوق مسموعا ومبلغا عنه فثبوته فخ كلام الله اولى
واحرى فان الله ليس كمثله شئ لا فخ ذاته ولا فخ صفاته ولا افعاله
ولا يمكن ان يكون تكلمه به وسماعه مما يعرف له نظير ولا امثال
ولا يقاس ذلك بتكلم النبي صلى الله عليه وسلم وسماع الكلام منه
فان النبي صلى الله عليه وسلم بشر يمكننا ان نعرف صفاته والرب
تعالى لا مثل له وهو ابعد عن مماثلة المخلوقات اعظم من بعد اعظم
منا المخلوقات عن مماثلة اذناها وقول السايل اذا تلوناه
وقام بنا يطلق عليه كلام الله وصفته ام يطلق عليه كلام الله
دون صفته ام فخ ذلك تفصيل يجب بيانه فيقال هو كلام الله
وصفته مسموعا من المبلغ عنه لا منه فالنفي والاثبات بدون
هذا التفصيل يوهم اما انه كلام الله مسموعا منه او انه ليس كلام
الله بل كلام المبلغ عنه كما يقوله وكلا القولين خطأ وقع فخ كلام
طايفتين من الناس طايفة جعلت هذا كلام المبلغ عنه لا كلام
الله وطايفة قالت هذا كلام الله مسموعا من الله ولم تفرق بين
الحالين حتى ادعى بعضها ان الصوت المسموع قديم وتلك لم
تجعله كلام الله بل كلام الناس فهؤلاء يقولون ليس هذا كلام
الله واولئك يقولون هذا الصوت المسموع قديم وكلا القولين
خطأ وضلال لكن هو كلام مقيدا بواسطة المبلغ الثاني
ليس هو كلام موصفته مطلقا فخ التقييد مسموعا منه وكلام
المتكلم يضاف اليه مطلقا اذا سمع منه ومقيدا اذا سمع من المبلغ

عنه كما ان رؤيته يقال مطلقة اذا رؤي مباشرة ويقال مقيدة
اذا رؤي في ماء او مرآة واما قوله اذا قام بنا هل كان منتقلا
عنا الله بعد ان قام به ام يكون قايما بنا وبه معا ام الذي قام بنا
يكون عبارة عن كلام الله او حكاية عنه ويكون اطلاق كلام
الله عليه مجازا فيقال ان صفة المخلوق لا تفارق ذاته وتنتقل
عنه وتقوم بغيره فكيف يجوز ان يقال ان صفة الرب سبحانه
فارقت ذاته وانتقلت عنه وقامت بغيره وقد بينا ان المتكلم
منا اذا ارسل غيره بكلام فان ما قام به لم يفارق ذاته وينتقل
الى غيره فكلام الله اولى واحرى بل كلامه سبحانه قايم به كما يقوم
به لو تكلم به ولم يرسل به رسولا فارسال الرسول به يفيد ابلاغه
الى الخلق وانزاله اليهم لا يوجب انتصافي حق الرب ولا زوال
انصافه به ولا خروجه عن ان يكون كلامه بل نعلم ان الرب كما انه
قد يتكلم به ولا يرسل به رسولا قد يتكلم به ويرسل به رسولا
فهو سبحانه في الحالين كلامه بل ارسال الرسول به نفع الخلق
وهداهم ولم يجب به نقصان صفة مولاهم وقوله ام يكون
قايما بنا وبه فيقال معنى القايم لفظ مجمل فان اريد ان نفس
الكلام من حيث هو هو تكلم هو به وتكلمنا به مبلغين له عنه
فكذلك وان اريد ان ما اختص به يقوم بنا او ما اختص بنا
يقوم به فهذا ممتنع وان اريد بالقيام انا بلغنا كلامه او قرأنا
كلامه او تلوناه كلامه فهذا صحيح فكذلك ان اريد ان هذا الكلام
كلامه مسموعا عن المبلغ لا منه وان اريد بالقيام ان الشئ
الذي اختص به هو بعينه قام بغيره مختصا به فهذا ممتنع
وان قيل الصفة الواحدة تقوم بموضعين قيل هذا ايضا مجمل
فان اريد ان الشئ بجملته يقوم بمحل آخر فهذا ممتنع وان اريد
انا الكلام الذي يسمى صفة واحدة يقوم بالمتكلم به ويبلغه

عنه

عنه غيره كان هذا صحيحا فهذه المواضع يجب ان تفسر الالفاظ
المجملة بالالفاظ المفسرة المبينة وكل لفظ يحتمل حقا وباطلا فلا
يطلق الا مبينا به مراد الحق دون الباطل فقد قيل اكثر اختلاف
العقلاء من جهة اشتراك الاسماء وكثير من نزاع الناس في هذا الباب
هو من جهة الالفاظ المجملة التي يفهم منها هذا معنى يثبته ويفهم
منها معنى ينفيه ثم النفاة يجمعون بين حق وباطل والمثبتة
يجمع بين حق وباطل واما قوله ام الذي يقوم بنا يكون عبارة
عن كلام الله او حكاية عنه ويكون اطلاق كلام الله عليه مجازا
فيقال العبارة عن كلام الغير يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه
غيره كما يعبر عما في نفس الاخرس من فهم مراده والذين قالوا
القران عبارة عن كلام الله قصدوا هذا وهذا معنى باطل بل
القران العربي تكلم الله به وجبريل بلغه عنه واما الحكاية فيراد
به ما يماثل الشئ كما يقال هذا يحاكي فلانا اذا كان يأتي بمثل قوله
او عمله وهذا ممتنع في القران فان الله تعالى يقول لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله الاية
وقد يقال فلان حكى كلام فلان عنه اي بلغه عنه ونقله عنه
ويجيء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم روى عن ربه وحكى عن
ربه فاذا قيل انه حكى عن الله بمعنى انه بلغ عن الله فهذا صحيح
واما قول القائل هل يكون كلام الله مجازا فيقال علامة المجاز
صحة نفيه ونحن نعلم بالاضطرار ان قائلا لو قال بحضرة الرسول
ليس هذا كلام الله لكان كافرا عنده لم يكن متكلما بالحقيقة
اللغوية الاصلية ايضا فهذا موجود في كل من بلغ كلام غيره
انه يقال هذا كلام المبلغ عنه لا كلام المبلغ والله سبحانه اعلم

آخره والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى
وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعظيم سلطانه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

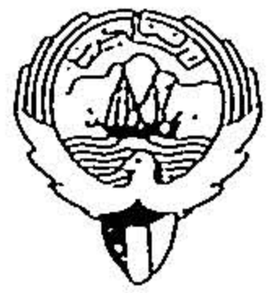

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

موقع نسيخة المرجع
مركز ودود
wadod.com

رقم المخطوط:خ ١٧١ (٥) الموضوع : عقائد

عنوان المخطوط: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس

بيان الأجزاء :

اسم المؤلف : عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين (ت١٢٨٢هـ)

اسم الناسخ :

سنة التأليف : سنة النسخ :

عدد الأوراق :٧٦ق(٩٩-١٧٤) حجم الورقة : ٢٣ × ١٦سم

عدد الأسطر : ٢٥س

وصف النسخة، والملاحظات : بخط عادي.في الورقة الأولى قيد تملك المجموع باسم حنيشل بن عبدا لله الحنيشل.

أوله: الحمد لله نحمده...أما بعد فإنه قدم علينا..رجل إسمه داود بن سليمان...وذكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين يشبه بها على الناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه..فإذا حقيقة أمره دعواه إستحالة

آخره: فهذا موجود في كل من بلغ كلام غيره أنه يقال هذا كلام المبلغ عنه لاكلام المبلغ.وا لله سبحانه أعلم آخره والحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يجب.

الكتاب سبق طبعه.

المراجع : الأعلام للزركلي ط الملايين ٤/٩٧.

شبكة الألوكة
www.alukah.net